

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإسلامية



محاضرات في مقياس علوم القرآن

ج2

موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس علوم إسلامية

-السداسي الأول-

إعداد الأستاذ:

د. حسام الدين مخلوف

السنة الجامعية: 2025/2026م

المقرر:

- .
- .
- .
- (9) علم النسخ في القرآن الكريم
- (10) علم المحكم والمتشابه
- (11) علم متشابه القرآن
- (12) علم الوجوه والنظائر
- (13) علم غريب القرآن
- (14) علم معاني القرآن
- (15) علم إعراب القرآن

المحاضرة التاسعة: علم النسخ في القرآن الكريم

اهتم العلماء بدراسة النسخ في القرآن الكريم، وصنفوا فيه، وأفردوا له مؤلفات خاصة، وكشفوا النقاب عن مواطنه، وأزالوا الشبهات التي أحيطت بموضوع النسخ، ومن أبرز من ألف في النسخ: ابن الجوزي في كتابه: "أخبار الرسوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ"، وأبو جعفر النحاس المرادي في كتابه: "الناسخ والمنسوخ"، ومكي بن أبي طالب القيسي في كتابه: "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه"، وكتابه: "الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه"، كما كتب في الناسخ والمنسوخ كل من: قتادة بن دعامة، وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني، وأبو بكر بن الأنباري وأبو بكر بن العربي.

وعلم الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن والتفسير؛ لأنه لا يمكن تفسير القرآن إلا بعد معرفة علم الناسخ والمنسوخ، وهو العلم الذي يبين مراحل نزول التشريع وتدرجه ويوضح منهج التشريع في إقرار الأحكام، وحكمته في خطاب المكلفين.

تعريف النسخ

لغة: للنسخ ثلاثة معان:

- 1-الإزالة: نسخت الشمس الظل أي أزالته. ومنه قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَيَّنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ" [الحج:6]
- 2-النقل: ومنه قولنا نسخت الكتاب.
- 3-البدل: تبديل الشيء من الشيء وهو تغييره. كما في قوله تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ" [النحل:110].

اصطلاحاً: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه (متأخر)، أو هو:

__ إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق.

__ خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم شرعي سابق.

مشروعية النسخ: جواز النسخ، وأدلته:

- من القرآن:

"مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا"
"وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"

- من السنة:

"ألا إني كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها".

- من الإجماع: أجمع الصحابة على جواز النسخ.

حكم النسخ:

اختلف في حكم النسخ على أربعة مذاهب أهمها:

المذهب الأول: مذهب المنكرين وهم اليهود وزعموا أنه يستلزم البداء على الله¹.

¹ اخترع اليهود لأنفسهم حجة يتمسكون بها، ويظهرونها لأتباعهم ، ويدفعون بها عن أنفسهم صفة الإعراض والاستكبار عن قبول الحق ، حيث عللوا موقفهم من شريعة الإسلام ، بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشريعة الربانية ينسخ شريعة التوراة ، قالوا : والنسخ على الله محال لأنه بداء ، فالقائل به متهم لله بالجهل ، ذلك أن الله - وهذا قولهم - إذا حكم بحكم ، فذلك الحكم هو المصلحة ، فإذا نسخ وقضى بخلافه ، فهذا يدل على أن الله بدا وظهر له فساد الحكم الأول ، وهذا اتهام لله بالجهل ، وهو ممتنع ، فدل ذلك على امتناع النسخ في حق الله لما يلزم القائل به من المعنى الباطل ، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم ، فتعين القول بأن شريعة موسى هي الشريعة الحق ، وما أتى بعدها فباطل وضلال ، ومثل هذه الحجة الواهية - وإن زخرفت حتى بدت كالحق - إلا أنها سرعان ما تنهار عند معاول النقد والتمحيص ، فقد أجاب العلماء على حججهم تلك ، فقالوا : رأيتم أيها اليهود شريعة موسى عليه السلام التي تدعون التمسك بها ، هل كان قبلها شيء من شرائع الله وأحكامه ؟ فإن قالوا: لم يكن قبلها شيء فقد كذبوا بنص التوراة التي ذكرت أن من شريعة نوح القصاص، ومن شريعة إبراهيم عليه السلام الحتان، وإن قالوا: كانت هناك شرائع قلنا أو ليس شريعة موسى جاءت ناسخة لتلك الشرائع، فكيف تجيزون لأنفسكم ما تحرمونه على غيركم، ثم نأتي على حججهم التي استندوا عليها فنقول: ومعنى البداء لغة: الظهور بعد الخفاء، فهم قالوا: لو جاز النسخ على الله تعالى لكان إما لحكمة ظهرت

له بعد أن لم تكن ظاهرة، أو لغير حكمة، وكلا الأمرين باطل، لأن الأول بداء، والثاني عبث، والبداء والعبث لا يجوزان على الله تعالى، إذ كل منهما نقص يتنزه الله أن يوصف به، والبداء يأتي على ثلاثة معان:

1- البداء في العلم، وهو أن يظهر له خلاف ما علم، وهذا لا يقول به عاقل في حق الله جل وعلا، لتمام علمه وإحاطته بكل معلوم.

2- البداء في الإرادة، وهو أن يظهر له الصواب على خلاف ما أراد، وهذا أيضا مستحيل على الله عز وجل لما يلزم عنه من نسبة الخطأ إليه سبحانه.

3- البداء في الأمر، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك، فهذا ما نسميه نسخا وليس هو بممتنع في حق الله سبحانه، ولا يلزم منه تجهيل الرب، ولا نسبة الخطأ إليه، ذلك أن اختلاف الحكم هنا ليس سببه أن الله قد ظهر له فساد ما كان يعلمه صالحاً، فيلزم من القول به تجهيل الله جل وعلا، كلا، ولكن الحكم كان مصلحة في زمن ضمن ظروف وملابسات معينة، فلما انتفت تلك الظروف والملابسات، لم تبق مصلحة في بقاء الحكم السابق، فينسخه الله سبحانه بحكم آخر، يناسب ظروف وملابسات ذلك الزمن، وهذا من تمام حكمة الله سبحانه، وكمال علمه، وليس في القول به انتقاص للخالق سبحانه، ولا اتهام له بالجهل، ولنضرب لذلك مثلاً: لقد حرم الله على بني إسرائيل أكل كل ظفر، وحرم الله عليهم بعض شحوم البقر والغنم، كما قال تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (الأنعام: 146) لكن هذا التحريم لم يكن لضرر في المأكول المحرم، وإنما كان عقوبة لبني إسرائيل على بغْيِهِمْ، كما نصت على ذلك الآية القرآنية السابقة، فهل من المناسب أن تعاقب الأمم اللاحقة بهذا التحريم بسبب ظلم بني إسرائيل وطغيانهم، إن الحكمة تقول ألا يؤخذ أحد بجريرة أحد، وألا تزر وزارة وزر أخرى، فهل في هذا عيب يلحق الخالق سبحانه بنسخه الحكم السابق، إن العقل يشهد بحسن ذلك النسخ، وأنه على مقتضى الحكمة والعدل.

ومثال آخر وهو تحريم إسرائيل (يعقوب) عليه السلام لحوم الإبل على نفسه، واقتداء بني إسرائيل به في ذلك، فهل من المناسب أن يبقى هذا التحريم سارياً حتى بعد مجيء رسول جديد بشرع جديد، وما الحكمة التي تجعل من نذر يعقوب عليه السلام شرعاً دائماً على سائر الأمم والشعوب!

ومن عجيب أمر اليهود الذين ينكرون النسخ، كيف أنهم وصفوا الله عز وجل بأقبح الأوصاف، حيث زعموا أنه ندم سبحانه على خلق الخلق، وشقَّ عليه، لما رأى كفر قوم نوح وإعراضهم، ولعمر الله إن ما ينكرونه من نسخ الشرائع أهون مما وصفوا الله به، ذلك أن نسخ الشرائع لا يدل على ظهور أمر كان خافياً عليه سبحانه - كما أوضحنا ذلك - بخلاف دعواهم أن الله ندم على خلق الخلق لما رأى كفرهم، فإن ذلك تجهيل للحق سبحانه، ونفي لعلمه بما تؤول إليه

المذهب الثاني: وينسب للمعتزلة قالوا: يجوز عقلا لكن يمتنع شرعا.

المذهب الثالث: مذهب جمهور علماء المسلمين قالوا: يجوز النسخ عقلا ويقع شرعا واستدلوا بقوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها"، وقوله تعالى: "وإذا بدلنا آية مكان آية"، وغيرها من الآيات والأحاديث.

المذهب الرابع: مذهب الشيعة الذين أثبتوا النسخ وغلوا فيه وأجازوا على الله فيه البداء.

شروط النسخ

1- "أن يكون الحكم المنسوخ شرعيا"

2- "أن يكون الحكم الناسخ خطاب شرعي متراخ عن الخطاب المنسوخ حكمه"

3- "ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدا بوقت معين"

4- "أن يكون بين الدليلين تعارض حقيقي لا يمكن الجمع بينهما"

إذا فقد شرط من هذه الشروط فلا يصح النسخ

الأمر التي يقع فيها النسخ والتي لا يقع

الأحكام الفقهية الأوامر والنواهي

وهذا النوع الذي يقع فيه النسخ دون غيره

2- المسائل العقدية وهذا القسم لا يقع فيه النسخ مطلقا ولا تقبل التبديل أو التغيير

3- أصول العبادات والمعاملات لا يقع النسخ في فرضها

أمر خلقه، فانظر إلى نفيعهم النسخ - وهو حق - توصلا إلى نفي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن قبله عيسى عليه السلام، ثم انظر إلى وصف الرب جل جلاله بالندم، لتعلم مدى جرأة هؤلاء وكفرهم وتناقضهم.

4-الأخلاق والآداب وهذه لا تنسخ ولا تقبل التغيير أو التبديل

طرق معرفة الناسخ من المنسوخ

لمعرفة الناسخ من المنسوخ يحتاج المجتهد إلى طرق لمعرفة الناسخ من المنسوخ:

- 1-أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما، قوله صلى الله عليه وسلم: "كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها"، وقوله تعالى: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، والآية: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين).
- 2-أن ينعقد اجماع من الأمة في أي عصر على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.
- 3-معرفة المتقدم من المتأخر.

أقسام النسخ

- 1-نسخ القرآن بالقرآن: ومنه قول الله تعالى: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير اخراج) نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا.
- 2-نسخ القرآن بالسنة: وهو على نوعين:

أ -نسخ القرآن بالسنة الأحاد: واختلف العلماء في جوازه مثاله قوله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين)
جاء حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا وصية لوارث" فقال بعض العلماء أن الحديث نسخ الآية وبعضهم قال ليس بنسخ وإنما حكم جديد أو تخصيص.

ب-نسخ القرآن بالسنة المتواترة: إذ اختلف العلماء في ذلك فذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه يجوز وقالوا: بأن السنة وحي والقرآن وحي وقد تساويا في درجة الثبوت، ومنعه الشافعية وأحمد واستدلوا بقوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها بخير منها أو مثلها)، ومثاله قوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) فإن جلد المحصن منسوخ بالرجم كما جاء في السنة المتواترة وقد أجاب عن الحديث بأنه تخصيص وليس بنسخ وإنما مخصص بحكم المحصن وهذا النسخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما فقد نسخ الحديث الآية على رأي من أجاز النسخ وليس بنسخ على رأي من منع النسخ صحيح.

3_ نسخ السنة بالقرآن: وهذا النسخ صحيح عند أكثر العلماء ومثاله صيام عاشوراء وجب بالسنة ونسخ بقوله تعالى: فمن شهد منكم الشهر فليصمه.

مثال آخر: التوجه لبيت المقدس قوله تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام)

4_ نسخ السنة بالسنة: وهذا النوع يجوز بالجملة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ألا أي قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها.

أنواع نسخ القرآن بالقرآن:

1- نسخ التلاوة والحكم معا: يستدل القائلون به بما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان فيم أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن)².

قال أبو بكر الرازي: "نسخ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه

² والمراد بأن النسخ تم قبل الوفاة، ولم يبلغ كل الناس بذلك، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الناس يقرؤها.

في قوله: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" [الأعلى: 16-18] ولا يعرف منها اليوم شيء".

2- نسخ الحكم وبقاء التلاوة³: وهذا النوع هو الذي وقع الاهتمام به، وألفت المؤلفات فيه، وانصرف إليه العلماء واتفقوا على وقوعه وجوازه، ولكنهم اختلفوا في عدد الآيات المنسوخة -فالسقوطي مثلاً يحصرها في عشرين موضعاً- وهذا النوع يتعبد به وبتلاوته. ومثاله: قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" [البقرة: 184].

قال ابن العربي في هذه الآية: "قال علماؤنا وابن القاسم عن مالك: هذه الآية نزلت قبل الفرائض ثم أنزل الله الفرائض في الموارث، فنسخت الوصية للوالدين ولكل وارث إلا أن تأذن الورثة في شيء فيجوز، واتفق الكل على أنها منسوخة واختلفوا في ناسخها على أربعة أقوال:
الأول: إن ناسخها آية الموارث.

الثاني: إن ناسخها قوله تعالى: "وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا" [النساء: 8].

الثالث: نسخها أن الله تعالى أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث.

الرابع: نسخها إجماع الأمة على إبطالها وأن الوصية لا تجوز لأحد ممن سمي الله له فرضاً معروفاً أو جعل النبي صلى الله عليه وسلم له حقاً مفروضاً⁴.

³ تساءل السقوطي عن الحكم من نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وأجاب على ذلك بوجهين: أحدهما: أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة. والثاني: أن النسخ غالباً ما يكون لتخفيف، فبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ورفع المشقة.

⁴ قد ناقش ابن العربي هذه الأقوال الأربعة وردّها، ولم يعتبرها ناسخة للآية الأولى، فأية الموارث لا تتعارض مع آية الوصية، ومن شروط النسخ التعارض، ولا يعرف المتقدم والمتأخر من الآيتين، وآية القسمة لا تصلح لنسخ آية الوصية

3-نسخ التلاوة وبقاء الحكم⁵: أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة النور، فكان فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألينة نكالا من الله والله عزيز حكيم، وقال عمر: "كان فيما أنزل آية الرجم، ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبته بيدي". رواه البخاري في صحيحه معلقا.

والنسخ يكون إلى بدل وإلى غير بدل.

فالنسخ إلى غير بدل: كنسخ الصدقة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

والنسخ إلى بدل، له ثلاثة أنواع:

1-نسخ إلى بدل أخف: ومثاله: نسخ العدة

2-نسخ إلى بدل مماثل: ومثاله: نسخ التوجه الى الكعبة

3-نسخ إلى بدل أثقل: مثاله: نسخ صوم عاشوراء

سؤال: ما الفرق بين النسخ والتخصيص؟

لعدم التعارض أيضا، ولا يصلح الخبر: "لا وصية لوارث" لنسخ الآية، لأن الآية أقوى من هذا الخبر من حيث الصحة، ولا بد في النسخ من التماثل بين الناسخ والمنسوخ، أما الإجماع فلا يصلح لنسخ الآية، لأن الإجماع لا ينسخ أصلا لأنه ينعقد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وفرق بين الإجماع الذي ينعقد على نظر، والإجماع الذي ينعقد على أثر، فما انعقد على نظر لا يصلح للنسخ، وما انعقد على أثر جاز أن يكون ناسخا، ويكون الناسخ الخبر الذي انبنى عليه الإجماع، وعندئذ تكون الأمة قد أجمعت على إسقاط الوصية للوالدين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا وصية لوارث".

⁵ طرح الزركشي في البرهان سؤالاً مفاده: "ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم؟ وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها؟ ونقل جواب ابن الجوزي صاحب كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن على هذا التساؤل بقوله: إنما كان كذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأيسر شيء، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام، والمنام أدنى طرق الوحي".

الجواب:

توسع بعض العلماء في فهم معنى النسخ، والتبس عليهم الأمر بين التخصيص والنسخ، فاعتبروا التخصيص نسخاً، فاعتبروا آيات القتال ناسخة لكل الآيات الواردة في القرآن التي تتضمن العفو والصفح والصبر، وأن تلك الآيات الداعية إلى قتال المشركين عامة وشاملة، فلا مجال بعدها للمهادنة أو المجادلة أو الصبر أو الصفح أو الإمهال، وذكر ابن العربي في كتابه النسخ والمنسوخ أكثر من سبعين آية منسوخة بآيات القتال. وللتفريق بينهما نقول: إن النسخ يأتي على الحكم المنسوخ فيزيله بالكلية، يبطله ويلغيه ويخرجه عن اعتباره دليلاً.

وأما التخصيص فلا يلغي العام بالكلية بل يبقى حكم العام معمولاً به، ولكنه لا يستغرق جميع أفراد بل جزءاً منهم، ويبقى العام بعد تخصيصه دليلاً ثابتاً للحكم فيما أبقاه المخصص.

رأي السيوطي في المكثرين في النسخ:

أشار السيوطي إلى ظاهرة الإكثار من آيات النسخ، ووصف العلماء المكثرين من آيات النسخ بأنهم أدخلوا أقساماً في النسخ ليست منه، وأهم هذه الأقسام ثلاثة، هي:

الأول: قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص، ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه، وذلك مثل قوله تعالى: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ"، قالوا: إنه منسوخ بآية الزكاة، وليس كذلك بل هو باق.

الثاني: قسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ، وقد اعتنى ابن العربي بتحرير هذا القسم وأجاد فيه، ويشمل هذا القسم الآيات التي خصت باستثناء أو غاية، كقوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا"، وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ.

الثالث: قسم رفع ما كان عليه الأمر في الجاهلية أو في شرائع من قبلنا أو في أول الإسلام، ولم ينزل فيه قرآن، كإبطال نكاح نساء الآباء، ومشروعية القصاص والدية وحصر الطلاق في الثلاث، والراجع عند

العلماء عدم اعتبار هذا من النسخ، لأن الأحكام الشرعية كلها رافعة لما كان عليه العمل في الجاهلية، والنسخ هو نسخ آية بأخرى أو رفع حكم ثبت بدليل بحكم لاحق يثبت بدليل أيضا.

عدد الآيات المنسوخة:

اعتبر ابن العربي عدد الآيات المنسوخة لا تتجاوز مائة آية، خمس وسبعون آية منها منسوخة بآيات القتال. وذهب ابن حزم في كتابه معرفة الناسخ والمنسوخ أن آيات النسخ تبلغ مائتين وأربع عشرة آية. وذهب أبو جعفر النحاس في كتابه: الناسخ والمنسوخ إلى أنها تبلغ مائة وأربعا وثلاثين آية. وأوصلها ابن سلامة الضير إلى مائتين وثلاث عشرة آية. وقصرها عبد القاهر البغدادي في كتابه الناسخ والمنسوخ إلى ست وستين آية.

حصر الآيات المنسوخة:

قال الإمام السيوطي في الإتقان: (2/50)

وَأَدْخَلُوا فِيهِ آيَا لَيْسَ تَنْحَصِرُ	قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْمُنْسُوحِ مِنْ عَدَدِ
عِشْرِينَ حَرَّرَهَا الْحَذَّاقُ وَالْكُبَرُ	وَهَاكَ تَحْرِيرَ آيٍ لَا مَزِيدَ لَهَا
يُوصِي لِأَهْلِيهِ عِنْدَ الْمَوْتِ مُحْتَضِرُ	آيِ التَّوَجُّهِ حَيْثُ الْمَرْءُ كَانَ وَإِنْ
وَفِدْيَةِ لِمُطِيقِ الصَّوْمِ مُشْتَهَرُ	وَحُرْمَةُ الْأَكْلِ بَعْدَ النَّوْمِ مَعَ رَفَثٍ
وَفِي الْحَرَامِ قِتَالٌ لِلأُلَى كَفَرُوا	وَحَقُّ نَفْوَاهُ فِيمَا صَحَّ فِي أَثَرِ
وَأَنْ يُدَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْفِكَرِ	وَالاعْتِدَادُ بِحَوْلٍ مَعَ وَصِيَّتِهَا
كُفْرٍ وَإِشْهَادُهُمُ وَالصَّبْرُ وَالنَّفَرُ	وَالْحِلْفُ وَالْحَبْسُ لِلزَّانِي وَتَرْكُ أُولَى
وَمَا عَلَى الْمُصْطَفَى فِي الْعَقْدِ مُحْتَظَرُ	وَمَنْعُ عَقْدٍ لِرَّانٍ أَوْ لِرَّانِيَّةٍ
وَأَهُ كَذَلِكَ قِيَامُ اللَّيْلِ مُسْتَطَرُ	وَدَفْعُ مَهْرٍ لِمَنْ جَاءَتْ وَآيَةُ نَجْ
وَآيَةُ الْقِسْمَةِ الْفُضْلَى لِمَنْ حَضَرُوا	وَزَيْدَ آيَةِ الاسْتِغْنَانِ بِمَا مَلَكَتْ

أمثلة عن هذه الآيات المنسوخة:

1	الآية المنسوخة: فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره (البقرة / 109)	الآية الناسخة: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة / 9)
2	الآية المنسوخة: فأينما تولوا فثم وجه الله (البقرة / 115)	الآية الناسخة: فول وجهك شطر المسجد الحرام (البقرة / 144)
3	الآية المنسوخة: كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية (البقرة / 180)	الآية الناسخة: للرجال نصيب مما ترك الوالدان (النساء / 7)
4	الآية المنسوخة: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم (البقرة / 183)	الآية الناسخة: أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم (البقرة / 187)
5	الآية المنسوخة: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين (البقرة / 184)	الآية الناسخة: فمن شهد منكم الشهر فليصمه (البقرة / 185)
6	الآية المنسوخة: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه (البقرة / 191)	الآية الناسخة: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (البقرة / 193)
7	الآية المنسوخة: يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه (البقرة / 217)	الآية الناسخة: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة / 9)
8	الآية المنسوخة: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم (البقرة / 240)	الآية الناسخة: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر (البقرة / 234)
9	الآية المنسوخة: وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (البقرة / 284/)	الآية الناسخة: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (البقرة / 286)

<p>الآية المنسوخة:</p> <p>10 اتقوا الله حق تقاته (آل عمران /102)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>الآية الناسخة:</p> <p>فاتقوا الله ماستطعتم (التغابن /16)</p>	<p>الآية المنسوخة:</p> <p>11 واللاتي يأتين الفاحشة - إلى قوله :- إن الله كان توابا رحيمًا (النساء 15- 16)</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>12 والذين عقدت أيمانهم فأتوهم نصيبهم (النساء /33)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>13 يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى (النساء /43)</p>	<p>الآية المنسوخة:</p> <p>وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ (الأنفال /75)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ (المائدة /90)</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>14 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (النساء /63)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>15 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (النساء /81)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>16 إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ ... إِلَىٰ قَوْلِهِ: سُلْطَانًا مُّبِينًا (النساء /90- 91)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>17 وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ (النساء /92)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>18 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ (المائدة /2)</p>	<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة :</p> <p>فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (التوبة /9)</p>

19	الآية المنسوخة: فإن جاؤك فاحكم بينهم (المائدة /42)	الآية الناسخة: وأن احكم بينهم بما أنزل الله (المائدة /49)
20	الآية المنسوخة: يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم (المائدة /106)	الآية الناسخة: وأشهدوا ذوي عدل منكم (الطلاق /2)
21	الآية المنسوخة: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم (الأنعام /68)	الآية الناسخة: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)
22	الآية المنسوخة: وأعرض عن المشركين (الأنعام /106)	الآية الناسخة: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)
23	الآية المنسوخة: وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات - إلى قوله: - وآتوا حقه يوم حصاده (الأنعام /141)	الآية الناسخة: إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب (التوبة /60)
24	الآية المنسوخة: يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله (الأنفال /1)	الآية الناسخة: واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله (الأنفال /41)
25	الآية المنسوخة: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها (الأنفال /61)	الآية الناسخة: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)
26	الآية المنسوخة: إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين (الأنفال /65)	الآية الناسخة: الآن خفف الله عنكم (الأنفال /66)
27	الآية المنسوخة: والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء (الأنفال /72)	الآية الناسخة: وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (الأنفال /75)
28	الآية المنسوخة: انفروا خفافا وثقالا (التوبة /41)	الآية الناسخة: وما كان المؤمنون لينفروا كافة (التوبة /122)

<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاصفح الصفح الجميل (حجر /85)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>وأعرض عن المشركين (حجر /94)</p>	<p>29</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p>	<p>30</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>وجادلهم بالتي هي أحسن (النحل /125)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة (النور/2)</p>	<p>31</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>وانكحوا 1 الأيامى منكم والصالحين من عبادكم (النور/32)</p>	<p>32</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك (الأحزاب /50)</p>	<p>33</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك (الأحزاب /50)</p>	<p>34</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p>	<p>35</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p>	<p>37</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p>	<p>38</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p> <p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p>	<p>39</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة /9)</p>	<p>40</p>

<p>الآية المنسوخة:</p> <p>فأعرض عمن تولى عن ذكرنا (النجم/29)</p>	<p>الآية الناسخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة/9)</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة (مجادلة/12)</p>	<p>الآية الناسخة:</p> <p>أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة (مجادلة/13)</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات (ممتحنة/10)</p>	<p>الآية الناسخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة/9)</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا (المزمل/1-3)</p>	<p>الآية الناسخة:</p> <p>إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل (المزمل/20)</p>
<p>الآية المنسوخة:</p> <p>واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (المزمل/10)</p>	<p>الآية الناسخة:</p> <p>فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة/9)</p>

المحاضرة العاشرة: علم المحكم والمتشابه

القرآن الكريم بعضه مُحْكَمٌ وبعضه متشابه، وقيل: كله محكم، وقيل: كله متشابه.

فقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]⁶.
فهذه الآية تقرّر أن القرآن بعضه مُحْكَمٌ وبعضه متشابه.

وفي سورة هود: ﴿الرَّكِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]. فالآية تقرّر أن القرآن كله محكم.

وفي سورة الزمر: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: 23]. فالآية تقرّر أن كله متشابه؛ فما تفسير كل ذلك؟
واعتبار القرآن الكريم محكماً كله أو متشابهاً كله أو اعتبار بعضه محكماً وبعضه متشابهاً تفسيره كالاتي:

1. القرآن الكريم كله محكم: بمعنى إحكام ألفاظه وعدم وجود خلل فيه، والمراد بإحكامه أيضاً: إتقانه، وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه. قال تعالى: {الرَّكِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1].

2. القرآن الكريم كله متشابه: بمعنى أن آياته متشابهة في الحق والصدق، والإعجاز، والهداية إلى الخير. قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي} ⁷ [الزمر: 23].

3. بعض القرآن الكريم محكم وبعضه متشابه: بمعنى أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب أي أن هذه الآيات جماع الكتاب وأصله، فهي بمنزلة الأم له، لا غموض فيها ولا التباس، كآيات الحلال والحرام

⁶ قال الخطابي: "وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله وحده منفرداً بعلمه".

⁷ عن مجاهد في تفسير قوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: 23]: "المتشابهات يصدّق بعضها بعضاً"، فالتشابه: هو الكلام الذي يكون في سياق واحد، والمثاني: هو الكلام في شيئين متقابلين؛ كصفة الجنة وصفة النار، وذكر حال الأبرار وحال الفجار، ونحو ذلك.

التي هي أصل التشريع، بخلاف الآيات المتشابهة التي تختلف فيها الدلالة، على كثير من الناس، فمن رد التشابه إلى المحكم الواضح فقد اهتدى. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: 7]⁸.

وإنَّ علم المحكم والمتشابه في القرآن الكريم هو مبحث متعلق بدلالات الألفاظ على المعاني، وهو منهج خاص بعلماء الأصول والحنفية منهم خاصة، فهم الذين قسموا النصوص باعتبار الخفاء والوضوح إلى قسمين اثنين: الواضح والخفي.

وجعلوا الواضح في أربعة أنواع: الظاهر، والنص، والمفسر والمحكم.

وجعلوا الخفي في أربعة أنواع: الخفي، والمشكل، والمجمل، والمتشابه.

ولبيان هذه المفاهيم نبدأ بتعريف مصطلحات المحكم والمتشابه على النحو الآتي:

تعريف المحكم والمتشابه:

أولاً: المحكم

لغة: المنع، ولهذا سمي الحاكم حاكماً لأنه يمنع الظالم عن الظلم، وسمي البناء بالمحكم؛ لأنه وثيق يمنع من تعرض له، وسميت الحكمة حكمة؛ لأنها تمنع عما لا ينبغي عنه⁹.

تقول العرب: حakمت وحكمت وأحكمت بمعنى: رددت ومنعت، والحاكم يمنع الظالم عن الظلم، وحكمة اللجام: هي التي تمنع الفرس عن الاضطراب.

⁸ قال ابن كثير: (قال ابن عباس: "المحكمات: ناسخه - وهو الحكم المؤخر النهائي - وحلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه، وما يؤمر به ويعمل به"، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرٍ: "هي الفرائض، والأمر والتَّهْيِي، والحلال والحرام".
⁹ انظر: القاموس المحيط في مادة حكم.

قال جرير: أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا أي: امنعوا سفهاءكم.

ومن معانيه أيضا: الإتقان البالغ، ومنه البناء المحكم الذي أتقن، فلا يتطرق إليه الخلل أو الفساد. أي: بناء وثيق يمنع من تعرض له. وقيل: إن إحكام الشيء وإتقانه، وإحكام آيات القرآن إحكامها من خلل يكون فيها، أو يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله¹⁰.

اصطلاحاً: إحكام آيات القرآن، بمعنى إحكامها من خلل يكون فيها أو أن يطعن فيها، إضافة إلى أنها نظمت تنظيماً رصيناً مع فصاحة الألفاظ وصحة المعاني.

وقد اختلف الأصوليون في تعريف المحكم على أقوال منها:

- أن المحكم ما عُرف المراد منه، إما بالظهور أو بالتأويل.
- أن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. (ما ظهر معناه وانكشف انكشافاً يرفع الاحتمال).
- أن المحكم هو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.
- أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج إلى بيان.
- أن المحكم هو المتقن الذي لا يتطرق إليه الإشكال.

فالمحكم ما ظهر معناه وانكشف انكشافاً يرفع الاحتمال، ومثاله: قول الله تعالى: "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" [البقرة: 275].

ثانياً: المتشابه

¹⁰ انظر: مناهل العرفان 2/ 166.

لغة: تشابه الشيء تشاكله لونا ووصفا، وهو قريب من التماثل. ولما كان التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة، ويوقع في الالتباس، توسعوا في اللفظ، وأطلقوا عليه اسم "المتشابه". فيقال: اشتبه الأمر عليه، أي التبس عليه.

اصطلاحا: أن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما، فهو مأخوذ من تشابه الوجوه وتماثل بعضها مع بعض، بحيث يحتمل وجوهاً متعددة من المعاني. ففيه شيء من الخفاء، فكان ظاهره لا ينبئ بنفسه عن المراد، ما لم يرجع إلى معونة القرائن والدلالات الخارجية. وقد اختلف في المتشابه أيضاً على أقوال، منها:

- ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدابة والدجال.
- ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.
- ما احتمل أكثر من وجه. (ما احتمل أكثر من معنى فيحتاج فيه إلى التدبر والتأمل).
- ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ.

أنواع المتشابه:

- **نسبي:** يحتاج إلى التدبر، وهو ما يكون مشتبهاً على بعض الناس دون بعض فيكون معلوماً للراسخين في العلم دون غيرهم. وهذا النوع يُسأل عن استكشافه وبيانه لإمكان الوصول إليه، وأمثلة هذا النوع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]؛ حيث اشتبه على أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى وادَّعَوْا أن ثبوتها يستلزم المماثلة، وأعرضوا عن الآيات الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات له وأن إثبات أصل المعنى لا يستلزم المماثلة...

- **حقيقي:** لا سبيل لمعرفة ولو بالتدبر. فهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقائق صفات الله -عزَّ وجلَّ- فإننا وإن كنَّا نعلم معاني هذه الصفات لكننا لا ندرك حقائقها وكيفيتها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: 110]، وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

[الأنعام:103]، ولهذا لما سُئِلَ الإمام مالك -رحمه الله تعالى- عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". وهذا النوع لا يُسأل عن استكشافه لتعذر الوصول إليه.

منشأ التشابه:

سمي المتشابه متشابهاً لاشتباه معناه على السامع نتيجة خفاء مراد الشارع في كلامه، وقد يكون منشأ التشابه يرجع إلى اللفظ أو إلى المعنى أو إلى اللفظ والمعنى معاً. فالتشابه يرجع إلى:

__ **اللفظ:** كقوله تعالى: {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ} [الصافات:93]. فلفظة: اليمين تحتمل استعمال يده اليمنى غير الشمال، وتحتمل أيضاً أن الضرب كان بقوة؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين، وتحتمل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم، كما في قوله تعالى: {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ} [الأنبياء:57].

__ **المعنى:** مثل ما استأثر الله بعلمه من أهوال يوم القيامة، وعلامات الساعة، والجنة والنار.

__ **اللفظ والمعنى:** كقوله تعالى: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} [البقرة:189] فهذا الخفاء في المعنى وفي اللفظ معاً، إذ لا يمكن معرفة معنى هذه الآية إلا بالرجوع إلى تفسيرها، فقد كان أهل الجاهلية يعتقدون أن الرجل إذا أحرم بالحج لم يدخل من باب البيت، بل يخرق خرقاً أو يدخل من وراء البيت، فرد عليهم القرآن وبيّن لهم أن ليس شيء من ذلك من أبواب البر ولكن البر هو التقوى.

أمثلة على المتشابه في القرآن الكريم:

انحصرت الأمثلة على الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم في بعض مسائل الاعتقاد كآيات الصفات¹¹، وفي الحروف المقطعة من فواتح السور القرآنية، مثل: (آلم) و(حم) و(كهيعص) وغيرها، فقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْمُتَشَابِهَاتِ بِقَوْلِهِ: "هِيَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّورِ".

ولا يأتي التشابه في الأحكام الفقهية العملية؛ لأنها تحتاج إلى تفصيل وبيان لقيام حياة الناس قياماً تاماً.

أمثلة عن رد التشابه إلى المحكم:

1_ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر:53].

هذه الآية متشابهة تحتل معنيين:

- المعنى الأول: غفران الذنوب جميعاً لمن تاب.
- المعنى الثاني: غفران الذنوب جميعاً لمن لم يتب.

رد الآية المتشابهة إلى المحكمة: وهي قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [طه:82].

فتبين من الآية المحكمة أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وهو مؤمن واتبع طريق الهدى.

2_ قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:9].

هذه الآية تحتل معنيين:

- المعنى الأول: إن كلمة {إِنَّا نَحْنُ} تحتل الواحد المعظم نفسه وهو حق.

¹¹ آيات الصفات محكمة لكونها تثبت صفات الله تعالى، متشابهة لنا من حيث كيفيتها، فمثلاً صفة الاستواء على العرش، معلومة في معناها، ولكن الكيف مرفوع، وهذا كما قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مرفوع، والسؤال عنه بدعة". أي: معنى الاستواء معلوم، وثبت له كيفية، فصفات الله منزّهة عن الكيف، والسؤال عنه.

● المعنى الثاني: أنها للجماعة، وهو باطل، وتحتل أيضاً الواحد ومعه غيره، فهي آية متشابهة تمسك بها النصارى الذين قالوا بالتثليث.

فيجب رد الآية المتشابهة إلى المحكمات كقوله تعالى: {إِهْكُم إِلَهَ وَاحِدٌ} [النحل:22]. وقوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ} [المؤمنون:91]. وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:1].

فتبين من خلال الآيات المحكمة أن المراد بقوله: {إِنَّا نَحْنُ} هو الله الواحد المعظم نفسه.

الحكمة من المحكم والمتشابه:

لو كان القرآن كله محكمًا لفاتت الحكمة من الاختبار به تصديقًا وعملاً؛ لظهور معناه وعدم المجال لتحريفه والتمسك بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. ولو كان كله متشابهًا لفات كونه بيانًا وهُدًى للناس، ولما أمكن العمل به وبناء العقيدة السليمة عليه، ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آياتٍ محكماتٍ يُرجع إليهنَّ عند التشابه وأخر متشابهاتٍ امتحانًا للعباد ليتبين صادق الإيمان ممن في قلبه زيغ، فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى وما كان من عند الله فهو حق ولا يمكن أن يكون فيه باطل أو تناقض لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42]، وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].

وأما مَنْ في قلبه زيغ فيتخذ من المتشابه سبيلاً إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار والاستكبار عن الأحكام ولهذا تجد كثيراً من المنحرفين في العقائد والأعمال يحتجون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة. وعن عائشة قالت: تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:7]، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذَرُهم». متفق عليه.

ومن حكم ذكر المتشابه في القرآن:

- 1- الحث على زيادة والتفكر في آيات القرآن الكريم والبحث عن دقائقه.
 - 2- ظهور التفاضل والتفاوت بين العلماء كل حسب طاقته وقدرته.
 - 3- زيادة الأجر والثواب؛ لأن الأجر على قدر المشقة.
 - 4- بيان عظمة القرآن وأنه لا تعارض مع آياته.
 - 5_ الآيات المتشابهات اختبار للناس: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا } [البقرة:26] { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } .
- أهم المؤلفات في المتشابه المعنوي:**

من أبرز الكتب القديمة التي تناولت موضوع المحكم والمتشابه ما يلي:

- 1- الرد على الزنادقة والجهمية وما تأولته من متشابه القرآن للإمام أحمد بن حنبل.
 - 2- تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
 - 3- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للغزنوي.
 - 4- فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام.
 - 5- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء لابن تيمية.
 - 6- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لذكريا الأنصاري.
 - 7- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي.
- وأما أهم المؤلفات المعاصرة التي تناولت موضوع المحكم والمتشابه استقلالاً فتحدثت عن المتشابه في القرآن الكريم أو عن المحكم في القرآن الكريم، أو عن أثره في العلوم الأخرى. نذكر منها:

1. معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، لأحمد حسن فرحات.
2. قضية المحكم والمتشابه وآثارها في التفسير القرآني عند المعتزلة، لعبد المقصود جعفر.
3. بحث في المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، لمحمد متولي إدريس.
4. المحكم والمتشابه في القرآن، لحسيب عبد الحليم سعيب.
5. تأملات في المحكم والمتشابه، لمحمد عبد الحافظ عبده.
6. المحكم والمتشابه في القرآن العظيم، لعبد الرحمن إبراهيم المطرودي.
7. المحكم والمتشابه في القرآن الكريم وأثرهما في الاختلاف العقدي: دراسة مقارنة، لشريف قحطان.
8. المحكم والمتشابه في القرآن الكريم: دراسات لغوية، لإبراهيم نمارنة.
9. قضية المحكم والمتشابه وأثرها على القول بالتفويض، للدكتور محمود عبد الرزاق.
10. تأويل المتشابه عند المفسرين، لمحمد عباس الجبوري.
11. المتشابه، للدكتور حسين نصار.
12. جامع البيان في متشابه القرآن، للدكتور أبو سريع محمد أبو سريع.
13. المتشابه في القرآن الكريم مفهومه وأسبابه وحكمته، للدكتور طه عابدين طه.
14. المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، لعبد المجيد ياسين المجيد.
15. معرفة المحكم والمتشابه وأثره في التفسير، لحامد العلي.
16. المحكم والمتشابه في القرآن، لإبراهيم عبد الرحمن خليفة.
17. الآيات المحكمات في التوحيد والعبادات والمعاملات لمحمد بن أحمد الداه الشنقيطي.

18. الثمرات اليانعات في المحكمات والمتشابهات، لكمال سيد أحمد إسماعيل العبد.

19. متشابه القرآن دراسة موضوعية، لعدنان محمد زرزور.

المحاضرة الحادية عشر: علم متشابه القرآن (المتشابه اللفظي)

إنَّ مصطلح "المتشابه اللفظي" يتكون من كلمتين، فيحتاج في تعريفه أولاً إلى تعريف كل مفردة، كما يلي:
أولاً: المتشابه

المتشابه اسم فاعل مأخوذ من الفعل "تشابه" على وزن "تفاعل"، وهو من الثلاثي المزيد بحرفين، جذره الغوي هو "ش، ب، هـ"، فالتشابه: تَفَاعُلٌ من الشَّبَه¹².

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال شَبَّه وشَبَّه وشَبَّه وشَبَّه¹³".

وقد وردت مادة "التشابه" في القرآن الكريم إحدى عشرة مرّة، على سبع صيغ، هي كالاتي:
﴿شَبَّهَ﴾، ﴿مُشْتَبِهًا﴾، ﴿تَشَابَهَ﴾، ﴿تَشَابَهَتْ﴾، ﴿مُتَشَابِهٌ﴾، ﴿مُتَشَابِهًا﴾، ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾¹⁴.
وهي في معانيها تختلف من موضع لآخر بحسب سياق الآيات في السورة، لكن جميع تلك المعاني لمادة "شَبَّه" في القرآن الكريم تعود في حقيقة الأمر إلى معنيين هما:

1. التماثل، أو المساواة، أو التشابه الخفيف.

2. الالتباس، أو الإشكال، أو التشابه الشديد.

1_ المعنى الأول: التماثل: جاء في كلام أهل العلم ما يثبت هذا المعنى للمتشابه، من ذلك:

- ما وضَّحه الراغب الأصفهاني في مادة "شَبَّه" في مفرداته بقوله: "الشَّبَّه والشَّبَّه والشَّبَّه: حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم. والشَّبَّه: هو ألاَّ يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى، يقول الله ﷻ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: 25]، أي: يشبه بعضه بعضاً لوناً لا طعماً وحقيقةً، وقيل: متماثلاً في الكمال والجودة... وقوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ

¹² انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص252.

¹³ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1979م)، مادة (شبه)، ج3، ص243.

¹⁴ انظر، محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، بحاشية المصحف الشريف، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 2001م)، ص375 (باب الشين).

قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿البقرة: 118﴾، أي: في الغي والجهالة... وقوله ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: 23]، فإنه يعني: ما يشبه بعضه بعضاً في الإحكام والحكمة واستقامة النظم. وقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 157]، أي: مُثِّلَ لَهُمْ ما حسبوه إياه¹⁵.

- قول ابن الأعرابي: "شَبَّهَ الشَّيْءُ: إِذَا أَشْكَلَ، وَشَبَّهَ: إِذَا سَاوَى بَيْنَ شَيْءٍ وَشَيْءٍ"¹⁶.
- تفسير الخليل للآيات المتشابهات في قوله ﷺ: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، قال: "أي: يشبه بعضها بعضاً"¹⁷.
- جاء في لسان العرب: "وتشابه الشيطان واشتبها، أي: أشبه كل منهما صاحبه، وفي التنزيل: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [الأنعام: 99]"¹⁸.

2_ المعنى الثاني: الالتباس: وما يثبت هذا المعنى للمتشابه ما يلي:

- تفسير الراغب لقوله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]: "والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره؛ إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى"¹⁹.
- أما ابن فارس فقد أعاد هذه المادة إلى أصل واحد في اللغة، فقال: "الشين والباء والهاء: أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال: شَبَّهَ وَشَبَّهَ وشَبَّيْهَ. والشَّبَّه من

¹⁵ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 257-258.

¹⁶ انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبه)، ج 13، ص 505.

¹⁷ الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتب على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2003م)، ج 2، ص 304.

¹⁸ ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 504-505.

¹⁹ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 257-258.

الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمشبّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران: إذا أشكلا²⁰.

- يرجع ابن قتيبة بمعنى "التشابه" إلى هذا الأصل أيضاً فيقول: "وأصل التشابه: أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان، قال ﷺ في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: 25]؛ أي: متفق المناظر مختلف الطعوم. وقال ﷺ: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: 118]؛ أي: يشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة. ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر: إذا أشبه غيره فلم تكد تفرّق بينهما، وشبّهت عليّ: إذا لبست الحق بالباطل... ثم قد يقال لكل ما غمض ودقّ: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره²¹.
- ينقل ابن منظور عن المفسرين تفسيرهم لقوله ﷺ: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾: "متشابهًا: يشبه بعضه بعضاً في الصورة ويختلف في الطعم، ودليل المفسرين قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾؛ لأنّ صورته الصورة الأولى، ولكنّ اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب عند الخلق، ولو رأيت تفاخاً فيه طعم كلّ الفاكهة لكان نهاية في العجب²².
- ذكر ابن عاشور في تعريفه للتشابه بأنه: "التمائل في حالة مع الاختلاف في غيرها من الأحوال²³.
- فالالتباس ناتج عن التشابه والتمائل بين الأشياء، فالمشابهة حينئذ سبب للالتباس.

²⁰ ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مادة (شبه)، ج3، ص243.

²¹ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص101-102.

²² ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص505.

²³ محمد الطاهر ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكلام المجيد، (تونس: الدار التونسية، د.ط، 1984م)، ج4، ص402.

ثانيًا: اللَّفْظِيّ

جاء في المعاجم اللغوية أنَّ لفظة "اللَّفْظِيّ": نسبة إلى "اللفظ"، واللفظ بمعنى المفعول، أي: الملفوظ، وهو في الأصل مصدر؛ يقال: لَفَظَ، يَلْفِظُ، لَفْظًا، وَلَفَظَ بالكلام، وتَلَفَّظَ به، أي: تكَلَّمَ²⁴.

وهذا طرف من بعض كلامهم يبين ما سبق كما يلي:

قال ابن فارس: "اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم، تقول لفظ بالكلام يلفظ لفظًا، ولفظت الشيء من فمي... وشيء ملفوظ ولفيظ"²⁵.

وقال الراغب: "اللفظ بالكلام: مستعار من لفظ الشيء من الفم، ولفظ الرّحى الدقيق، ومنه: سُمي الديك اللافظة؛ لطرحه بعض ما يلتقطه للدجاج. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18]"²⁶.

ويقول الجوهري: "لفظت الشيء من فمي أَلْفِظَه لفظًا: رميته، وذلك الشيء لُفَظَ... ولفظت بالكلام وتلفظت به، أي: تكلمت به، واللفظ واحد الألفاظ، وهو في الأصل مصدر"²⁷.

ويقول ابن منظور: "ولفظ بالشيء يلفظ لفظًا، تكلم، وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18]، ولفظت بالكلام وتلفظت به، أي: تكلمت"²⁸.

وذكر الخليل أنَّ "اللفظ: الكلام... واللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك... والأرض تلفظ الميت، أي: ترمي به، والبحر يلفظ الشيء: يرمي به إلى الساحل"²⁹.

وقال أبو البقاء الكفوي³⁰: "اللفظ في أصل اللغة: مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول؛ فيتناول ما لم يكن صوتاً وحرفاً، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملاً أو مستعملاً صادراً من الفم أو لا، لكن حُصِّ في

²⁴ انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص461، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص902.

²⁵ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص259.

²⁶ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص456.

²⁷ الجوهري، الصحاح، ج3، ص1179.

²⁸ ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص461.

²⁹ الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج4، ص93.

³⁰ هو أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، كان من قضاة الحنفية، عاش وولي القضاء في "كفه" بتركيا، وبالقدس، وبغداد، وعاد إلى إستانبول، فتوفي بها سنة 1094هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص38.

عُرف اللغة: بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج، حرفاً واحداً أو أكثر، مهماً أو مستعملاً³¹.

وقال في موضع آخر مبيّناً الفرق بين معنى (اللفظ) وما يقاربه: "وما خرج من الفم: إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو اللفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفرداً فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم³²".

تعريف المتشابه اللفظي في الاصطلاح

يمكن تقسيم تعريفات العلماء لهذا العلم إلى قسمين:

أولاً: التعريفات العامة التي أطلقها بعض أهل العلم على المتشابه اللفظي في مقدمات كتبهم، ولم يرد بها أصحابها أن تكون جامعة مانعة، ومنها:

1. قول الخطيب الإسكافي في مقدمة كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل": "ندعوني دواع قوية

ييعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة تطلباً لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الآية دون أشكالها..."³³.

2. ما ذكره الكرمانى في مقدمة كتابه "البرهان في متشابه القرآن" بقوله: "فإنَّ هذا الكتاب أذكر

فيه: الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة؛ ولكن وقع في بعضها زيادة أو

نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً

بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان"³⁴.

³¹ أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (لبنان: مؤسسة الرسالة، ط2، 2011م)، ص795.

³² المرجع نفسه، ص562.

³³ الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ص7-8.

³⁴ محمود بن حمزة الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص19-20.

3. قول ابن الزبير الغرناطي في مقدمة كتابه "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آيات التنزيل" في تحديده لموضوع كتابه بأنه: "توجيه ما تكرر من آياته لفظاً أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير"³⁵.

4. وجاء في مقدمة "كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" لزكريا الأنصاري: "أما بعد، فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر وغير ذلك مع بيان سبب الاختلاف، وفي ذكر غير المختلفة مع بيان سبب تكراره"³⁶.

5. ويعرفه أبو البقاء الكفوي بقوله: "إيراد القصة الواحدة، في سور شتى وفواصل مختلفة، في التقديم والتأخير، والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، والإدغام واللفك، وتبديل حرف بحرف آخر"³⁷.

وبعد التأمل في هذه التعريفات يتضح أنها محاولات لوصف علم المتشابه اللفظي القائم على التكرار مع الاختلاف، والتوجيه أو التعليل الذي عُبر عنه بـ "رفع الإشكالات" و "بيان سبب الاختلاف"، وهذا التكرار مع الاختلاف يقتضي المشابهة والمماثلة.

ثانياً: التعاريف التي عنيت بالشرح والتدقيق وبيان المحترزات، ومنها:

1. تعريف الدكتور محمد الصامل إذ يعرفه بأنه: "ما توارد من الآيات بنوع من التبديل والتغيير في ألفاظها"³⁸. ثم يقول: "بقي أن أوضح أنّ ما تكرر بعينه من الآيات فهو من قبيل المتفق اللفظي، وليس المتشابه، فهناك آيات تكررت بأعيانها دون أن يحدث عليها أي تعديل أو تبديل فهذا ما يسمى بالمكرر"³⁹.

³⁵ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: عبد الغني محمد الفاسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج1، ص7.

³⁶ زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، (بيروت: دار عالم الكتب، ط1، 1405هـ)، ص5.

³⁷ الكفوي، الكليات، ص845.

³⁸ محمد بن علي الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، (السعودية: دار إشبيلية، ط1، 2001م)، ص13.

³⁹ المرجع نفسه، ص13.

2. تعريف محمد منيار وهو: "الآيات المكررات في اللفظ، بسياقها أو مع إبدال"⁴⁰.
ثم يبين محتزات التعريف بقوله: "(الآيات) قِيد خرج به ما تكرر في غير القرآن، (المكررات) أي: لها نظائر... (في اللفظ) قيد خرج به: ما تشابه في المعنى... (بسياقها) أي: المكررات بنفس ترتيب حروفها وألفاظها، وهي على نوعين:
- الأول: مثاني الآيات؛ وهي الآيات التامة التي تكرر في أكثر من موضع.
- الثاني: مثاني الجُمْل؛ وهي ما دون الآية التامة؛ مما تكرر في أكثر من موضع.
- (أو مع إبدال) أي: بتغيير اللفظ أو السياق..."⁴¹.
3. تعريف فهد الشتوي بأنه: "الآيات المتكررة في موضوع واحد متقارب المعنى مع اختلاف في لفظها أو نظمها أو كليهما"⁴².
4. تعريف تھاني باحويرث بأنه: "الآيات القرآنية المتكررة بلفظها، أو مع اختلاف يسير في لفظها، أو نظمها، أو كليهما، مع تقارب المعنى لغرض ما"⁴³.
5. تعريف أحمد محمد أمين إسماعيل: "فالمتشابه اللفظي: آيتان أو مقطعان فأكثر بينهما تشابه تام من حيث اللفظ أو غير تام"⁴⁴.

⁴⁰ محمد طلحة بلال منيار، إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، (جدة: دار نور المكتبات، ط1، 2003م)، ص93-94.

⁴¹ المرجع نفسه، ص93-94.

⁴² فهد الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2005م، ص100.

⁴³ تھاني باحويرث، أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2007م، ص24.

⁴⁴ أحمد محمد أمين إسماعيل، الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2011م)، ص37.

6. تعريف الشريف الدريدح: حيث خلص بعد عرضه لأقوال العلماء المصنّفين في المتشابه إلى أنه: "تلك الآية التي تكررت من حيث اللفظ مع اختلاف بإبدال وزيادة أو نقصان وبتقديم أو تأخير تسبب في إشكال أو لبس اقتضى تعليلًا أو توجيهًا"⁴⁵.

إذن المتشابه اللفظي اصطلاحًا هو: "الآيات المتماثلة مع اختلاف في اللفظ أو النظم أو كليهما".
فالأيات: ليخرج ما عدا آيات القرآن، ولفظ الآيات يشمل التماثل الواقع بالآية الكاملة أو بجزء من الآية؛ لأنَّ الآية تطلق على الآية الكاملة وعلى بعض الآية.

المتماثلة: أي المتشابهة. والتعبير بالتماثل أفضل من التعبير بالمشابه أو التكرار؛ للتفريق بين التشابه والتكرار، وكذلك فإنَّ التماثل هو أحد المعاني اللغوية للتشابه، ولفظ التماثل: يخرج المتشابه المعنوي - المقابل للمحكم-؛ لأنَّ تشابهه ناشئ من الالتباس، وليس من التماثل.

مع اختلاف: أي: ما كان تماثله غير تام؛ بل حصل فيه -مع غلبة التماثل- شيء من التغيير؛ إما في الكلمات -كبديل حرف أو كلمة غيرها، وكالتعريف والتنكير، أو التذكير والتأنيث، أو الإفراد والجمع، أو غيرها-؛ وإما في التراكيب -كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف وغيرها-. ويمكن أن يضاف على هذا التعريف قيد (الإشكال)؛ لأنه يسببه، فيقال:

بأنه: "ما أشكل من الآيات المتماثلة مع اختلاف في اللفظ أو النظم أو كليهما".

العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي

إنَّ المعنى الاصطلاحي للمتشابه اللفظي يتوافق مع ما ذكر في المعنى اللغوي لكلٍّ من لفظي: "المتشابه"، و"اللفظي"، ويمكن إيضاح ذلك فيما يلي:

1- إنَّ تعريف المتشابه اللفظي في الاصطلاح بأنه: "ما أشكل من الآيات المتماثلة" ملاحظ فيه المعنيين المذكورين للمتشابه في اللغة، وهما: "اللبس والإشكال"، و"التماثل".

2- إطلاق مصطلح "المشكل" أو "الإشكال" على المتشابه لغة مأخوذ من كون التماثل بين الشيئين سبب في حصول اللبس والإشكال بينهما؛ حتى لا يمكن التمييز بينهما، وهذا المعنى

⁴⁵ الشريف الدريدح، المتشابه اللفظي ودلالته في القصص القرآني (قصة آدم نموذجاً)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم اللغة العربية والدراسات القرآنية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في قسنطينة، الجزائر، 2012م، ص8.

موجود في التعريف الاصطلاحي للمتشابه اللفظي. قال أبو بكر الجصاص: "والمتشابه هو: الذي تتكرر ألفاظه، واشتباه هذا من جهة اشتباه وجه الحكمة فيه على السامع"⁴⁶.

3- جهة التشابه أو التماثل الملحوظة في التشابه اللفظي هي جهة الكلام الملفوظ دون النظر إلى المعنى، فالنسبة إلى اللفظ "اللفظي" في مصطلح "المتشابه اللفظي" ملحوظ معناها في التعريف الاصطلاحي.

4- إنَّ المشابهة بين الشيئين تستلزم المغايرة والاختلاف، فكذلك إذا كانت بين الآيات فإنها لا تقتضي التطابق التام، وإلاَّ أصبحت تدخل في باب التكرار التام.

الفرق بين التشابه اللفظي والمكرر

ذهب بعض الباحثين⁴⁷ إلى أنَّ المكرر غير التشابه اللفظي، فهما لا يتداخلان، لكنَّ الأقرب أن يقال: بينهما عموم وخصوص، يتضح من النظر في تعريف كلٍّ منهما، والنظر في الفروق التي بينهما. فالمكرر: مشتق من التكرار، وهو: "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى"⁴⁸.

وأما أهم الفروق التي يمكن ملاحظتها بين المكرر والتشابه اللفظي؛ فمنها:

1- اختلاف المعنى اللغوي لكلٍّ منهما، إذ التشابه لغة بمعنى التماثل والالتباس، وأما التكرار لغةً فيأتي بمعنى الإعادة والترديد⁴⁹.

2- إنَّ التكرار يطلق على تكرار الألفاظ والمعاني، مثل قوله ﷺ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13]. بخلاف التشابه اللفظي، فهو لا يطلق إلاَّ على تشابه الألفاظ فقط، أي: ما تكرر فيه المعنى أو كان معنى مغايرًا، لكن مع اختلاف في الألفاظ أو التراكيب بفروق يسيرة متشابهة، وذلك كتكرار قصص بعض الأنبياء عليهم السلام.

3- أنَّ الأصل في "التكرار" هو: المعنى سواء كان باللفظ نفسه أو بغيره، بخلاف التشابه اللفظي، فإنَّ الأصل فيه النظر إلى الألفاظ دون المعاني.

⁴⁶ أبو بكر أحمد بن علي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج2، ص3.

⁴⁷ انظر: محمد الصامل، من بلاغة التشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص13.

⁴⁸ الكفوي، الكليات، ص297.

⁴⁹ انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص904.

المؤلفات في المتشابه اللفظي قديماً وحديثاً

إنَّ المتشابه اللفظي فنٌّ عزيز من فنون التفسير وعلوم القرآن، قد أفرده بعض العلماء بالتصنيف نثرًا ونظمًا، جمعًا وتوجيهًا، وقد أدرجه آخرون ضمن مصنفاتهم في علوم القرآن، واهتم به بعض المفسرين، وأغفله آخرون، ولهذا سيحاول الباحث أن يقدم في هذا المبحث بيانًا تأصيليًا تاريخيًا لأهم المؤلفات في علم المتشابه اللفظي قديماً وحديثاً على النحو الآتي:

أولاً: أهم المؤلفات في المتشابه اللفظي قديماً

القرن الأول الهجري: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين: بعد التأمل في السيرة النبوية يمكن القول أنَّ بوادِر هذا العلم بدأت منذ زمن النبي ﷺ وأصحابه، حيث وردت بعض الروايات تصلح لأن تكون بدايات لهذا العلم جمعًا وتوجيهًا، من ذلك:

ما روي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: "إنَّ اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه"، فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، وفي سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2]، وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: 111]⁵⁰.

⁵⁰ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم الحديث 3856، ج2، ص1267. والحديث حسَّنه الألباني.

القرن الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي وتدوينه⁵¹: بدأت هذه المرحلة على يد أعلام القراء، أمثال: حمزة بن حبيب الزيات⁵² (ت: 156هـ)، ونافع بن عبد الرحمن المدني (ت: 169هـ)⁵³... وغيرهم، حيث وجدوا أنَّ المتشابه اللفظي قد يصعب ضبطه على حفظة القرآن الكريم، فعمدوا إلى جمعه تجنباً لوقوع الحفظة في الغلط والالتباس والنسيان، وذلك من دون توجيه، أو بيان لأسباب التشابه والاختلاف، فهم أول من أُلّف في المتشابه اللفظي، وهم واضعوه⁵⁴.

⁵¹ بدأت هذه المرحلة في القرن الثاني الهجري، لكن لا يزال التأليف في جمع المتشابه اللفظي مستمراً إلى يومنا هذا، ومن أشهر هذه المؤلفات التي عنيت بالجمع فقط:

- 1- "العقد الجميل في متشابه التنزيل" لآكاه باشا.
- 2- "كنز المتشابهات" للحافظ محمد محبوب الحيدرابادي.
- 3- "إتحاف أهل العرفان بالمفردات من آي القرآن" للشيخ محمد نور أحمد أبو الخير ميرداد.
- 4- "القرآن الكريم مع ذكر المتشابهات" للشيخ عبد الحليم الجشتي.
- 5- "مثنائي الآيات المتشابهات الكاملات" للشيخ عبد الرزاق بن أحمد الشاحدي اليماني.
- 6- "سبيل التثبيت واليقين لحفاظ آيات الذكر الحكيم" لصفي الدين عبد الحميد رسمي.
- 7- "تنبيه الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ" لمحمد بن عبد العزيز المسند.
- 8- "عون الرحمن في حفظ القرآن" لأبي ذر القلموني.
- 9- "دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم" لمحمد بن عبد الله الصغير.
- 10- "التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن" للشيخ عبد الغفور بن عبد الكريم البنجابي.
- 11- "الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ" لجمال بن عبد الرحمن إسماعيل.
- 12- "دليل الحيران في متشابهات القرآن" لعبد المنعم كامل شعير.
- 13- "دليل الآيات متشابهة الألفاظ في الكتاب العزيز" لسراج صالح ملائكة.
- 14- "أوجز البيان في متشابه القرآن" للسيد محمود محمد سند.
- 15- "المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم" لمحمد زكي محمد خضر.
- 16- "إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ" لمحمد طلحة بلال منيار.

⁵² هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي بالولاء، الزيات، أبو عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة المشهورين، توفي سنة 156هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص90.

⁵³ هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، المدني، أحد القراء السبعة، أصله من أصبهان، انتهت إليه رئاسة القراءة في المدينة، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، توفي سنة 169هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص336.

⁵⁴ انظر: الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص6-7.

لكن يبقى القول أنَّ هذه المؤلفات فقدت ولم تصل إلينا⁵⁵.

وأما المؤلفات المطبوعة التي وصلت إلينا من هذه المرحلة الزمنية، فنذكر منها:

1_ "متشابه القرآن" للكسائي (ت: 189هـ): يُذكر أنه أول مصنف وضع في هذا الباب، والحقيقة أنه قد سبقه قراء وأعلام آخرون، لكن كتبهم قد فُقدت، بخلاف كتاب الكسائي الذي حقق وطبع أكثر من مرة⁵⁶.

وكان منهجه في تقسيم أبواب الكتاب الاعتماد على حسب عدد مرّات التكرار للفظ المتشابه، كما أنه قد يشير أحياناً إلى اختلافات القراءات؛ لأثرها في تعداد المتشابه.

القرن الرابع

1_ "متشابه القرآن العظيم" لابن المنادي⁵⁷ (ت: 336هـ): تتبّع في هذا الكتاب آيات المتشابه اللفظي في القرآن سورة سورة، حيث يذكر الآيات المتشابهة في سورة البقرة مثلاً، ثم يضم إليها مثيلاتها من السور الأخرى، وهكذا يفعل في سورة آل عمران وغيرها من سور القرآن الكريم⁵⁸.

وكان منهج ترتيب الكتاب بحسب وجود الاختلافات بين الآيات المتشابهة سواء الآيات الكاملة

⁵⁵ انظر: محمد رجائي أحمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين الغرناطي والسامرائي دراسة مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا، 2012م، ص74.

⁵⁶ يمكن تلخيص القول في أولية من ألّف في هذا الفن كما يلي:

أولاً: أنَّ أول من ألّف في جمع المتشابه اللفظي عموماً -واضع هذا العلم- هم: أئمة القراء، أو الكسائي.

ثانياً: أنَّ أول من ألّف في توجيه المتشابه اللفظي وتعليقه هو: أبو عبد الله الرازي المعروف بالخطيب الإسكافي؛ في كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل".

ثالثاً: أنَّ أول من نظمه: أبو الحسن علّم الدين السخاوي؛ في منظومته "هداية المرتاب".

⁵⁷ أبو الحسين ابن المنادي: أحمد بن جعفر بن محمد، عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد، دفن في مقبرة الخيزران، قيل: صنف في علوم القرآن 400 كتاباً، من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه، ووقف على فوائده لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه، من كتبه: "اختلاف العدد"، و"دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات". انظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص107.

⁵⁸ انظر: محمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص75.

أو الجمل المتكررة بلا اختلاف، أو بحسب نوعية ذلك الاختلاف، كالاختلاف في التقديم والتأخير، أو الذكر وعدمه، أو إبدال كلمة بأخرى، أو غير ذلك.

القرن الخامس: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي

1_ "دُرَّةُ التنزيل وُغُرَّةُ التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز"، الخطيب الإسكافي⁵⁹ (ت:420هـ): وهو رائد هذا العلم ومؤسسه، فله فضل سبق، حيث يُعدُّ أول من صنف في توجيه المتشابه، وقد ائتمَّ به كثير ممن جاء بعده، وكتابه مبسوط طويل العبارة، مرتب السور، صرَّح فيه الإسكافي بأنه لم يقف على من عُني بتوجيه المتشابه قبله، وبذلك يكون كتابه هذا أول ما صنف في بابه⁶⁰.

القرن السادس

1_ "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" برهان الدين الكرمانى⁶¹ (ت:505هـ): وهو كتاب جامع وجيز، استوعب أكثر متشابهات القرآن والألفاظ المكررة وبيان علة ذلك، سار على درب الخطيب الإسكافي، وسلك مسلكه، بل كان كثيرًا ما يعرض لرأيه ويقول: "والخطيب أطنب في هذه الآيات"⁶².

2_ الكشَّافُ عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت:528 هـ): يعتبر الكشف من أهم التفاسير التي تعرضت لبيان أسرار المتشابه اللفظي، والزمخشري من المقلين المقتصدين في التعليل، وقد استمد منه كثير من المفسرين من بعده كالبيضاوي والنسفي وأبي السعود.

القرن السابع

⁵⁹ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب حيث إنه كان خطيباً بالريّ، والإسكافي حيث احترف صناعة الأحذية وإصلاحها، الأصفهاني الأصل، الأديب اللغوي صاحب التصانيف الحسنة. انظر: أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991م)، ج6، ص2549.

⁶⁰ انظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل و غرة التأويل، ص7-8.

⁶¹ هو: محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، أبو القاسم، المعروف بتاج القراء، كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، توفي بعد 500هـ، من مصنفاته: لباب التفسير، وغرائب التفسير، والبرهان في متشابه القرآن. انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج7، ص146.

⁶² الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص29.

1_ مفاتيح الغيب " للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت: 606 هـ): تفسير الرازي من أهم التفاسير التي ظهرت في هذه الفترة الزمنية والتي تعرضت لبيان المتشابه وتوجيهه، بل إنه يُعدُّ من أوسع التفاسير التي تعرضت لتعليل أوجه المتشابه اللفظي، وربما أطال في بعض المواضع وأتى بوجوه كثيرة مُتَكَلِّفَة، وقد أخذ فريق من المفسرين بعده نصَّ كلامه في ذلك، وضمَّنوه في تفاسيرهم.

2_ "هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبين متشابه الكتاب" علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت: 643 هـ): جاءت مرحلة نظم المتشابه اللفظي⁶³ في منتصف هذا القرن، فبدأ العلماء في نظم المتشابه في منظومات شعرية، وذلك لسهولة حفظه، وانجذاب الطبع إليه، إلَّا أنَّ التأليف فيه أقل من المنشور؛ لأنه ليس في مقدور كلِّ أحد، ويعتبر أوَّل من نظم في هذا الفن هو: السخاوي، وقد بلغت أبيات منظومته: 431 بيتًا، وهي تعتبر أمَّ المنظومات في المتشابه وأشهرها، كما أنَّ مؤلفها تميَّز بسلاسة النظم والبراعة فيه، وقد ابتكر السخاوي منهجًا له في ترتيبه للمتشابه اللفظي في منظومته، حيث جعل التبويب بحسب ترتيب حروف الهجاء، وذلك بالنظر إلى أوائل الألفاظ المتشابهة؛ وصار أشهر المناهج في منظومات المتشابه، وقد تبعه عليه تلميذه أبو شامة فيما بعد.

كما أنَّ السخاوي كان يكتفي بذكر أحد اللفظين المتشابهين عن ذكر الآخر في الغالب، مما يحتاج معه إلى شرح يُذكر بتلك النظائر وينبّه عليها⁶⁴.

⁶³ قد ساهم كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين بنظم المتشابه اللفظي في متون ومنظومات، من أبرزها:

1- "البحر المحيط" لمحمد بن أبوجا الشيباني.

2- منظومة "مقصورة" الدمياطي.

3- "منظومة الدنفاسي".

4- "رَجَز القرآن" لحسن الماحي قدورة.

5- "منظومة في المتشابه" للعلامة العتيق بن محمد مولود المباركي الشنقيطي.

6- "منظومة متشابهات القرآن" ليحيى غوثاني.

⁶⁴ من أهم شروحها:

1- شرح لأحمد بن عبد الله المكِّي الفقيه.

2- "كشف الحجاب شرح هداية المرتاب" لمحمد نجيب خياطة.

3- "التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية في متشابهات الآيات القرآنية" لمحمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل.

4- "التسهيل فيما يشتهه على القارئ من آي التنزيل" لعلي إسماعيل السيد هندواوي ومحمد عوض الحرباوي.

3_ "تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن" لأبي شامة المقدسي⁶⁵ (ت: 665هـ): حاول

أبو شامة المقدسي لمّ شمل منظومة شيخه السخاوي، وإكمال ما تبقى من المتشابهات التي لم يذكرها السخاوي، في منظومته المتممة، وهي مخطوطة لم تطبع بعد، ومنها نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق⁶⁶.

القرن الثامن

1_ "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل" أبو جعفر

أحمد بن الزبير الغرناطي⁶⁷ (ت: 708هـ): أقرّ فيه ابن الزبير الغرناطي بالسّبق والفضل للإسكافي، ثم انتهج منهجه، وسلك مسلكه، بل وزاد عليه من الفوائد واللطائف الشيء الكثير، فصار من أبسط وأجل ما صنف في توجيه المتشابه⁶⁸.

2_ "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" بدر الدين بن جماعة⁶⁹ (ت: 733هـ): سلك ابن

جماعة مسلك سابقه في دراسة المتشابه اللفظي حسب ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف، ثم درس الآيات حسب ورودها في السورة، مع تتبع الآيات المشابهة لها في السور الأخرى، والتزم بمنهج الكرمانلي في تقسيم الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة، فكان يدرس في كل مقطع مسألة وحيدة بإيجاز شديد⁷⁰.

شرح عبد القادر الخطيب الحسني.

⁶⁵ هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، المعروف بأبي شامة -لشامة كانت في وجهه-، وهو تلميذ للسخاوي، وقد شرح الشاطبية شرحاً طويلاً لم يكمله، وشرحاً مختصراً، توفي في دمشق سنة: 665هـ. من أشهر مؤلفاته في علوم القرآن: "المرشد الوجيز". انظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص299.

⁶⁶ انظر: محمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص79-80.

⁶⁷ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، الإمام الحافظ شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، كان خاتمة المحدثين، وصدر العلماء والمقرئين، نسيج وحده في حسن التعليم، والصبر على التسميع، والملازمة للتدريس، صنف التصانيف الكثيرة المتنوعة في شتى العلوم، ولي قضاء المناكح، وبلغ من الشهرة والإشادة بذكره ما لم يبلغه سواه. انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ)، ج1، ص189-190.

⁶⁸ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص7.

⁶⁹ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جماعة، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، قال عنه ابن حجر: "واجتمع له من الوجاهة وطول العمر ودوام العز ما لم يتفق لغيره، وصنف كثيراً في عدة فنون". انظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، (صيدر آباد: مجلس دائرة المعارف الثمانية، ط2، 1392هـ/1972م)، ج5، ص6.

⁷⁰ انظر: محمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص154.

القرن التاسع

1_ "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" لمجد الدين الفيروزآبادي⁷¹ (ت: 817هـ): وهو كتاب جليل حافل يحتوي على مباحث كثيرة تتعلق بالقرآن وعلومه، قد تعرّض صاحبه في كل سورة لبعض أنواع علوم القرآن وفنونه، كالنسخ والمنسوخ، والوقف والابتداء، وعدد الآيات، وذكر المتشابه وتوجيهه، والتكرار وحكمته، كل ذلك يعرضه على شكل لطائف ولمسات وأسرار بيانية بديعة.

القرن العاشر

1_ "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن" زكريا الأنصاري⁷² (ت: 926هـ): رتّب زكريا الأنصاري كتابه على ترتيب السور القرآنية، مع إيجاز في العبارة، واستيعاب لكثير من المتشابهات، وذكر ما يلتبس من جهة المعنى والتفسير، والكلام عن حكمة التكرار، فمنهجه أنه لا يقف عند الآيات المتشابهة لفظاً فقط، بل يتناول بالدراسة والبيان والتعليل كل الآيات التي قد يلتبس فيها الفهم والتفسير⁷³.

وقد انقطع التأليف بعد الأنصاري وتوقف لما يزيد على خمسمائة سنة من سنة وفاته 926هـ إلى سنة 1400هـ تقريباً، فلم يظهر في هذه الفترة الزمنية أي مؤلف وضع في علم المتشابه اللفظي والله أعلم⁷⁴.

القرن الثاني عشر

⁷¹ أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين من شيراز، وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند، ورحل إلى زبيد سنة 796هـ، فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، أشهر كتبه: "القاموس المحيط"، و"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، توفي في زبيد سنة 817هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص146.

⁷² زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، قال عنه الشوكاني: "وقرأ في جميع الفنون، وأذن له شيخه بالإفتاء والتدريس، فصنّف، وأفتى، وأقرأ، وصنّف التصانيف الكثيرة في كل فن من الفنون، فانتفع الناس بها، وتنافسوا فيها". انظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ج1، ص293.

⁷³ زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص5.

⁷⁴ انظر: محمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدماء والمحدثين، ص82.

1_ "كفاية القارئ في مشتبهات القرآن الكريم"، للإمام محمد هاشم الحارثي السندي (ت: 1174هـ): وهي منظومة طويلة جداً، تُعدُّ من أوسع المنظومات في علم المتشابه اللفظي، حيث اشتملت على ثمانية وألف بيت⁷⁵.

القرن الثالث عشر

1_ "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، لشهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ): يعتبر تفسير الألوسي من أغزر التفاسير مادة في توجيه المتشابه اللفظي، وقد ينقل في بعض المواضع كلام الرازي في توجيه لبعض الآيات على طوله، ثم يتعقبه وجهاً وجهاً، كما فعل في الكلام على تشابه قصة بني إسرائيل في سورتي البقرة والأعراف.

2_ "منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ"، محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت: 1287هـ): وهي منظومة طيبة، جمع فيها كثيراً من المتشابهات، وزاد فيها على ما في غيرها من المنظومات⁷⁶.

القرن الرابع عشر

1_ "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1394هـ): ويعرف تفسيره اختصاراً بالتحريير والتنوير، وهو من أنفس تفاسير المتأخرين التي تُعنى بالدقائق اللفظية، والمباحث اللغوية، والنحوية، والبلاغية، وفيه ما لا يوجد في غيره من التفاسير على كثرتها، كما أنَّ له عناية ببعض الآيات المتشابهات توجيهاً وتعليلاً.

وكخلاصة لما سبق بيانه، فإنَّ هذه المؤلفات عموماً، وكتب كل من الإسكافي والكرماني وابن الزبير وابن جماعة والأنصاري خصوصاً، تعتبر المصدر الأساس في علم المتشابه اللفظي وتوجيهه، وإن كانت كتابات المعاصرين وبحوثهم قد تزيد من المقارنة فيما بين تلك الكتب، مع إضافة ما قد يُذكر في بعض التفاسير، وكتب اللغة والأدب من توجيهات واجتهادات.

⁷⁵ انظر: المرجع نفسه، ص 80.

⁷⁶ انظر: محمود بن محمد العبد، حلية الحفاظ شرح منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، (القاهرة: دار الأنصار، د.ط، د.ت)، ص 1.

ثانياً: أهم المؤلفات في المتشابه اللفظي حديثاً

القرن الخامس عشر: مرحلة التجديد

تميّزت هذه المرحلة بمحاولة الاجتهاد والتجديد، سواء في طريقة عرض هذا العلم، أو محاولة الوقوف على أسرار بيانية أخرى للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم لم يقف عليها السابقون، معتمدين في ذلك على ما بين أيديهم من هذا التراث العظيم، ومستندين كذلك على المؤلفات المعاصرة في شتى مجالات اللغة والأدب، فجاءت معظم هذه المؤلفات في شكل أبحاث علمية، ورسائل جامعية، من أهمها:

1- المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية⁷⁷، صالح بن عبد الله الشثري: كان ترتيب

الشثري ترتيباً موضوعياً، بحسب نوع الاختلاف الحاصل بين الآيات المتشابهة في الكلمة (صيغة، أو تذكيراً وتأنيثاً، أو تعريفاً وتنكيراً، أو إفراداً وجمعاً، أو إبدال حرف بحرف)، وفي التراكيب (ذكراً وحذفاً، أو تقديماً وتأخيراً، أو فصلاً ووصلاً).

2- دراسة وتحقيق درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، محمد مصطفى آيدين: ترجم

المحقق للمؤلف، ثم بيّن منهجه في دراسة الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة، ليكشف بذلك عن أسباب تكرار المتكرر، ويرد على طعن الطاعنين، والمشككين في الإعجاز الكائن في هذا التشابه من الكلمات والحروف.

3- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، لبيب محمد

جبران صالح: ترجم الكاتب للمؤلفين، وبيّن منهج كل منهما في كتابه، ثم قارن بينهما في تناولهما لمسألة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

4- دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، محمد فاضل السامرائي:

يعتبر هذا الكتاب دراسة لمنهج أبي جعفر بن الزبير الغرناطي في كتابه "ملاك التأويل"، حيث يقف عند الآيات التي ذكرها المؤلف ليرز مدى توفيقه في توجيهاته، وبيان سبب تخصيص كل آية بما خصت به، وذلك من خلال عرض رأيه مع الآراء الأخرى سواء كانت هذه الآراء المذكورة في كتب المتشابه أم في كتب التفاسير أم في كتب علوم القرآن أم في غيرها من الكتب.

⁷⁷ وهي رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى: 1421هـ، وتقع في (507) صفحة.

5- متشابه النظم في قصص القرآن الكريم⁷⁸ -مقارنة وتحليل- للدكتور: عبد الغني الراجحي:

كان ترتيبه للكتاب ترتيباً موضوعياً، بحسب قصة كل نبي.

6- المبني والمعنى في الآيات المتشابهات، ياسين المجيد: حيث وجّه فيه كثيراً من الآيات المتشابهة،

معتمداً في بعض التأويلات على التفسير العلمي للقرآن الكريم⁷⁹.

7- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد الصامل: وقد تطرّق إلى عشرة مواضع

فقط من المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لكن بشكل موسّع، فناقش في كل موضع من هذه

المواضع العشرة مسائل لغوية عديدة⁸⁰.

8- المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق، محمد القاضي:

تناول فيه بالدراسة موضوع السياق، وتوجيه المتشابه اللفظي في ضوء سياق النص القرآني،

كما أنه أكّد على مسألة عدم وجود التكرار في القرآن الكريم، فقد تشابه المعاني وتختلف

التركييب لاختلاف جانب من سياقها، فكل سياق يتطلب تراكييب خاصة، ومفردات معينة⁸¹.

وغيرها من المؤلفات والرسائل الجامعية، من أبرزها مثلاً:

1- البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال ملاك التأويل: إبراهيم بن عبد العزيز

الزبد.

2- أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني: تھاني بن سالم بن

أحمد باحويرث.

3- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى ﷺ: فھد بن شتوي بن

عبد المعين الشتوي.

4- المتشابه اللفظي ودلالاته في القصص القرآني قصة آدم ﷺ نموذجاً، الشريف دريدح.

5- فاضل صالح السامرائي ومؤلفاته

⁷⁸ وهي رسالة دكتوراه من جامعة الأزھر، كلية أصول الدين، سنة: 1945م، لكنها غير مطبوعة.

⁷⁹ انظر: محمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص90.

⁸⁰ انظر: الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، ص90.

⁸¹ انظر: المرجع نفسه، ص91.

التعبير القرآني، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، لمسات بيانية من نصوص التنزيل، معاني النحو، أسئلة بيانية في القرآن الكريم.

وهو من المعاصرين الذين لهم أثر واضح في هذا المجال، حيث يستقرئ كثيراً من الآيات المتشابهات، ويحاول توجيه التشابه اللفظي بناءً على معارفه المتمثلة في علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، وقد انفرد بتحليلات دقيقة، اعتمد فيها على تتبع السياق، وفهم المقام، اعتماداً كلياً، فخلص بذلك إلى فوائد غزيرة، ولطائف كثيرة.

وكخلاصة لما سبق بيانه فإنّ هذه المصنفات الحديثة وخاصة - كتاب الشثري وكتابات السامرائي - تُعدُّ المصدر الأساس بعد المصادر الأصيلية في دراسة علم التشابه اللفظي وتوجيهه؛ لكونها اعتمدت على المراجع السابقة في جمع المسائل وتأصيلها، غير أنّها لم تكتف بذلك؛ بل جاءت باجتهادات متميزة، وإضافات فريدة، في كثير من مسائل علم التشابه اللفظي.

المحاضرة الثانية عشر: علم الوجوه والنظائر

علم الوجوه والنظائر من أهم أنواع علوم القرآن، وهو فرع من فروع علم التفسير، ومعناه: أن يرد اللفظ الواحد في القرآن الكريم بعدة معانٍ، كللفظ الأمة، الذي جاء في القرآن الكريم بعدة معانٍ منها: الجماعة، والملة، والحين، والإمام، والصنف... وهو علم يبحث في كل لفظ في القرآن الكريم ورد في أكثر من آية، وكانت دلالاته على معناه في كل واحدة منها غير معناه في الآيات الأخرى التي ورد فيها، أي إن المفسر في هذا النوع من أنواع التفسير يقوم بالنظر في معنى كل لفظ ورد متكرراً في آيات القرآن، فكانت دلالاته في آية أو بعض الآيات التي ورد فيها مابيناً لدلالاته على معناه في الآية أو الآيات الأخرى، ثم يقوم بحصر تلك المعاني المتعددة ويجعلها وجوهاً للفظ، وقد كثرت المؤلفات في هذا النوع من العلم حتى نافت عن ثلاثين مؤلفاً، يعود بعضها إلى بداية القرن الثاني الهجري، وهو ضروري جداً للمفسر، إذ لا يجوز له الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى إلا بعد الإحاطة بلغة العرب، وهو من أعظم أوجه إعجاز القرآن إذ أنّ الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل وليس هذا في كلام البشر.

تعريف الوجوه والنظائر:

في اللغة:

- **الوجوه:** جمع وجه، ووجه كل شيء مستقبلي، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به.

ووجوه الكلام: مقاصده ومعانيه.

- **النظائر:** جمع نظير، والنظير المثل، قال الجوهري: ونظير الشيء مثله.

والنظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال. ونظائر الكلام: أمثاله وأشباهه في كل شيء.

في الاصطلاح:

عرف ابن الجوزي الوجوه والنظائر بقوله: "اعلم أن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فالنظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني" اهـ.

فيفهم من هذا التعريف أن المراد بالنظائر اتحاد الكلمة الواحدة في اللفظ، والمراد بالوجوه اختلافها في المعنى، فالنظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فالوجوه هي اللفظ الذي يستعمل في عدة معان في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً للأقسام، والنظائر نوعاً آخر كالأمثلة.

ولعل أول معنى اصطلاحي لعلم الوجوه والنظائر مقتبس من قول الصحابي الجليل أبي الدرداء: "إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة"، وقول ابن مسعود: (لقد عرفت النظائر التي كان النبي يقرن بينهن، وذكر عشرين سورة من المفصل، وقد سميت هذه السور نظائر لاشتباه بعضها ببعض في المعاني أو لمقاربتها في الطول والقصر).

والنظائر هي الألفاظ المتشابهة في اللفظ والمذكورة في مواضع مختلفة من القرآن، بينما الوجوه هي المعاني المختلفة لهذه الألفاظ في كل موضع.

وهذا التعريف للوجوه والنظائر تعريف جامع لهما في سياق واحد مؤتلف في الألفاظ، مختلف في المعاني.

فائدة معرفة هذا العلم

وتبرز أهمية هذا العلم في فهم مقاصد القرآن ودفع الشبهات عنه، فمعرفة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم وسيلة من أعظم الوسائل لفهم معانيه وفقه مقاصده ومرامييه.

فلا ينبغي لمن يتصدى لعلم التفسير أن يهمل هذه الدراسة الميدانية؛ التي تعاون في تأصيلها علماء اللغة، وعلماء التأويل، وعلماء الأصول وغيرهم؛ ممن كرسوا جهودهم لخدمة كتاب الله -تعالى- ونصرة دينه.

فهو علم يكشف عن مراد الله -تعالى- من كلامه العزيز في مواضعه المختلفة، بحسب ما يؤدي إليه سوابق الكلام ولواحقه؛ إذ كل لفظ في موضع قد يختلف عن مثله في موضع آخر أو في عدة مواضع، فلو حمل

اللفظ على معنى واحد في كل المواضع لأدى ذلك إلى التعارض والتناقض، والجهل بما وراء المعاني من المقاصد.

ولا ريب أن من أجاد البحث في وجوه القرآن ونظائره، استطاع بحول الله وقوته وتوفيقه أن يدفع عن القرآن شبهات أوردها على ألفاظه أو على معانيه قوم خيم عليهم الجهل، وضُرب على آذانهم، فلم يعقلوا منه شيئاً يُذكر لهم.

وكلما ازداد المفسر لكتاب الله - تعالى - علماً في الوجوه والنظائر نبغ في تأصيل الأصول، ورد الفروع إليها، ومحاكمة المخالفين فيها إلى الحق المجرد عن الهوى.

(ولا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة، بأن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة؛ فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد). قول أبي الدرداء.

أسباب انتشار الألفاظ المشتركة

من المعلوم أن الألفاظ المشتركة ذات المعاني المتعددة قد انتشرت في لغة العرب انتشاراً واسعاً لأسباب كثيرة، منها:

(أ) اختلاف القبائل العربية في وضع الألفاظ لمعانيها، فقد تضع قبيلة اللفظ لمعنى، وأخرى تضعه لمعنى آخر، وثالثة تضعه لمعنى ثالث؛ فيتعدد الوضع، وينقل إلينا اللفظ مستعملاً في هذه المعاني دون أن ينص علماء اللغة على تعدد الوضع أو الواضع.

(ب) قد يوضع اللفظ لمعنى، ثم يستعمل في غيره مجازاً، ثم يشتهر استعمال المجازي، حتى ينسى أنه مجازي، فينقل إلينا على أنه موضوع للمعنيين: الحقيقي، والمجازي.

(ج) أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى مشترك بين المعنيين؛ فيصح إطلاق اللفظ على كليهما، ثم يغفل الناس عن هذا المعنى المشترك الذي دعا إلى صحة إطلاق اللفظ على كلا المعنيين؛ فيظنون أن اللفظ من قبيل المشترك اللفظي، كلفظ النكاح، لفظ وضع لمعنى الضم، فصح إطلاقه على العقد ذاته؛ لأن فيه ضم اللفظين: الإيجاب والقبول، وصح إطلاقه على الوطاء أيضاً.

ولكن اشتهر إطلاقه على العقد، فظن البعض أنه حقيقة فيه مجاز في غيره، وظن البعض الآخر أنه في الوطاء حقيقة وفي العقد مجاز.

(د) أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى في اللغة، ثم يوضع في الاصطلاح لمعنى آخر، كلفظ (الصلاة) وضع لغة للدعاء، ثم وضع في اصطلاح الشرع للعبادة المعروفة.

وقد نزل القرآن على أفصح هذه اللغات التي نطق بها العرب ليس فيه لفظ ينكرونه، ولا معنى لا يفقهونه، ولو كان فيه شيء من ذلك لتصيده سفهاؤهم وأذاعوا به.

نماذج من الألفاظ المشتركة: إليك أمثلة من الألفاظ المشتركة ذات المعاني المختلفة:

(أ) (أمة): تأتي في القرآن على خمسة أوجه:

١ - (القوم): كما في قوله تعالى في سورة النحل (٩٢): {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ}.

٢ - (الملة): كما في قوله تعالى في سورة البقرة (٢١٣): {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}.

٣ - (المدة): كما في قوله تعالى في سورة هود (٨): {وَلَيُنْزِلَنَّ أَهْرَاقًا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا مَا يَحْسِبُونَ} وقوله في سورة يوسف (٤٥): {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}.

٤ - (الإمام): كما في قوله تعالى في سورة النحل (١٢٠): {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}.

٥ - (الخلق من كل جنس): كما في قوله تعالى في سورة الأنعام (٣٨): {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ}.

(ب) (الأهل): تأتي في القرآن على سبعة أوجه:

١ - (ساكنو القرى): كما في قوله تعالى في سورة الأعراف (٩٧): {أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى}.

٢ - (قراء التوراة والإنجيل): كما في قوله تعالى في سورة النساء (١٧١): {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}.
في دينكم}.

٣ - (الأصحاب): كما في قوله تعالى في سورة النساء (٥٨): {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا}.
إلى أهلها}.

٤ - (الزوجة والأولاد): كما في قوله تعالى في سورة القصص (٢٩): {فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۖ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا}.
وسار بأهله ۖ آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا}.

٥ - (القوم والعشيرة): كما في قوله تعالى في سورة النساء (٣٥)، {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا}.
وحكما من أهلها}.

٦ - (المختار له): كما في قوله تعالى في سورة الفتح (٢٦): {وَكَاثِبُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا}.
وكاثبوا أحق بها وأهلها}.

٧ - (المستحق): كما في قوله تعالى في سورة المدثر (٥٦): {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}.
هو أهل التقوى وأهل المغفرة}.

(ج) (الأم): تأتي في القرآن على خمسة أوجه:

١ - (الأصل): كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (٧): {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}.
محكمات هن أم الكتاب}.

٢ - (المرجع والمصير): كما في قوله تعالى في سورة القارعة (٩): {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}.
فأمه هاوية}.

٣ - (الوالدة بعينها): كما في قوله تعالى في سورة طه (٤٠): {فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ}.
فرجعناك إلى أمك}.

٤ - (المرضعة): كما في قوله تعالى في سورة النساء (٢٣) {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ}.
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم}.

٥ - (أمهات المؤمنين): أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى في سورة الأحزاب (٦): {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}.
وأزواجه أمهاتهم}.

(د) (السيبل): تأتي في القرآن على أحد عشر وجهًا:

١ - (الطريق): وهو المعنى الحقيقي في اللغة، كما في قوله تعالى في سورة النساء (٩٨): {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، وقوله جل شأنه في سورة القصص (٢٢): {عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}.

٢ - (الطاعة): كما في قوله تعالى في سورة البقرة (١٩٥): {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}؛ وقوله تعالى في سورة النساء (٧٦): {الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}.

٣ - (البلاغ): كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (٩٧): {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}.

٤ - (المخرج): كما في قوله تعالى في سورة النساء (١٥): {أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا}، وقوله تعالى في سورة الإسراء (٤٨): {فَضْلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}.

٥ - (المسلك): كما في قوله تعالى في سورة النساء (٢٢): {إِنَّهُ كَانَ فُحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}، وقوله تعالى في سورة الإسراء (٣٢): {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فُحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}.

٦ - (العلل): كما في قوله تعالى في سورة النساء (٣٤): {فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا}.

٧ - (الدين): كما في قوله تعالى في سورة النحل (١٢٥): {أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}.

٨ - (الحجة): كما في قوله تعالى في سورة النساء (١٤١): {وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}.

٩ - (العدوان): كما في قوله تعالى في سورة الشورى (٤٢، ٤١): {فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ} * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}.

١٠ - (الإثم): كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (٧٥): {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ}، وقوله تعالى في سورة التوبة (٩١): {مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ}.

١١ - (الملة): كما في قوله تعالى في سورة يوسف (١٠٨): {قُلْ هُذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}.

هـ- "الزوج" في القرآن لها ثلاث أوجه:

__ القرين: ومنه قوله تعالى: "احشروا الذين ظلموا وأزواجهم" [الصفافات:22]، أراد قرنائهم من الشياطين، ونظيرتها: "وإذا النفوس زوجت" [التكوير:7]، قال ابن قتيبة: "قرنت بأشكالها في الجنة والنار".

__ الصنف: ومنه قوله تعالى: "ثمانية أزواج" [الأنعام:143]، ونظيرتها قوله: "قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك" [هود:40]، وقوله "وأنتت من كل زوج بهيج" [الحج:5] ...

__ الزوجات: ومنه قوله تعالى: "ولهم فيها أزواج مطهرة" [البقرة:25]، وفي [النساء:12]: "ولكم نصف ما ترك أزواجكم"، وقوله: "أنتم وأزواجكم تحبرون" [الزخرف:70]⁸²

أهم المؤلفات في علم الوجوه والنظائر:

اعتنى العلماء بهذا العلم اعتناء كبيراً، وألّفوا فيه المؤلفات الكثيرة النافعة، ومن أقدم من ألّف فيه:

1_ عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس ت 105هـ.

2_ علي بن أبي طلحة الهاشمي (143هـ) (الوجوه والنظائر).

3_ محمد بن السائب الكلبي (146هـ) .

وهذه الكتب الثلاثة لم تصل إلينا.

4_ كتاب "الأشباه والنظائر" لمقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ).

⁸² ابن الجوزي، منتخب قرة عيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق محمد السيد الصفتاوي ود.

فؤاد عبد المنعم أحمد، (منشأة المعارف بالإسكندرية: 1977م)، ص9.

لهارون بن موسى القارئ، (ت170هـ).

"الوجوه والنظائر" أبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري (186هـ).

5_ علي بن وافد ت (193هـ) له كتاب بعنوان "النظائر في القرآن".

6_ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي (ت 200هـ) (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه).

7_ الأصمعي عبد الملك بن قريب (ت216هـ) (اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه)،

8_ اليزيدي، إبراهيم بن يحيى بن المبارك العدوي (ت 225هـ) له كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) أو "مصادر القرآن".

9_ أبو العميث الأعرابي، عبد الله بن خليل بن سعد (240هـ) بعنوان (ما اتفق لفظه واختلف معناه).

10_ أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد (285هـ) (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد).

11_ الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي (ت نحو 320هـ) (تحصيل نظائر القرآن)

12_ أبو بكر النقاش، محمد بن الحسين (ت 351هـ) "الوجوه والنظائر".

13_ ابن فارس اللغوي، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (395هـ) كتاب (الأفراد) ذكره الزركشي، وهذا الكتاب لم يصل إلينا.

14_ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (429هـ) (الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها).

15_ الحيري، إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الضرير النيسابوري له كتاب (وجوه القرآن).

16_ ابن البناء، أبو علي الحسن بن أحمد البغدادي الحنبلي (ت471هـ).

17_ الدامغاني، أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت478هـ) (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)

18_ الزاغوني، علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني أبو الحسن (ت 527هـ) شيخ ابن الجوزي، له كتاب في (الوجوه والنظائر) أفاد منه كثيراً ابن الجوزي في كتابه (نزهة الأعين) ولكن الكتاب لم يصل إلينا.

19_ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج (ت 597هـ) كتابه: (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) واختصره ابن الجوزي في كتابه: (منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم).

20_ ابن الشجري، ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت 542هـ). كتاب (معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه)،

21_ أبو الفضل حبش بن إبراهيم تفليس (ت 558هـ) (وجوه القرآن).

22_ أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (ت 658هـ) (وجوه القرآن والنظائر).

23_ كتاب الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) تكلم في الجزء الأول من (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) على الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

24_ ابن العماد المصري، محمد بن محمد البليسي (ت 887هـ) "كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر".

25_ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): خص في الإتيان نوعاً للحديث عن هذا العلم في النوع التاسع والثلاثين في معرفة الوجوه والنظائر، ذكر فيه بعض المؤلفات قديمها وحديثها، فذكر من الأقدمين مقاتلاً، ومن المتأخرين ابن الجوزي، ولم ينس نفسه ضمن هذا الحشد فقال: "وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته (معتزك الأقران في مشترك القرآن) وهو مطبوع بعنوان (معتزك الأقران في إعجاز القرآن).

ثم اهتم المتأخرون من العلماء بهذا العلم، وكانت هناك دراسات قيمة مثل: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وموازنة، للدكتور سليمان بن صالح القرعاوي (رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، سنة 1407هـ، وطبعت في الرياض سنة 1410هـ/ 1990م.

— وألف الدكتور عبد العال سالم مكرم كتاباً في هذا العلم سماه (المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم) قام بدراسة موجزة لبعض المؤلفات في المشترك اللفظي، مثل كتاب مقاتل، وهارون، والتصاريف ليحيى بن سلام، وما اتفق لفظه واختلف معناه، للمبرد، وتحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي، والأشباه والنظائر للثعالبي، مجلة جامعة دمشق — المجلد 19 — العدد الثاني — 2003 محمد يوسف الشرجي 463 والوجوه والنظائر للدامغاني، ونزهة الأعين لابن الجوزي، وكشف السرائر لابن العماد، وطبع في الكويت سنة 1994م.

— وللدكتور محمد علي الحسن بحث نشره قي مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، العدد السابع 1993، بعنوان (نحو موسوعة إسلامية في الوجوه والنظائر القرآنية) وضع فيه تصوراً مقترحاً للوجوه والألفاظ القرآنية تغني الباحثين عن الرجوع إلى كل هذه الكتب، وتيسر عليهم سبل البحث للوصول إلى المعاني المنشودة .

وللباحثة سلوى محمد سليم العوا رسالة ماجستير بعنوان (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) تقدمت بها إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة 1997م، اتجهت في بحثها اتجاهاً لغوياً، وطبع الكتاب في دار الشروق في القاهرة، سنة 1998م .

مقارنة بين بعض كتب الوجوه والنظائر واختلاف العلماء في ذلك:

للمقارنة بين هذه الكتب، نذكر كلمة على سبيل المثال، وهي اللباس، لنرى نقاط الاتفاق والافتراق بين هذه الكتب

قال يحيى بن سلام في كتابه (التصاريف): "تفسير اللباس على ستة وجوه:

الوجه الأول: اللبس: يعني الخلط، وذلك قوله في البقرة (ولا تلبسوا الحق بالباطل) يعني لا تخلطوا الحق بالباطل، وفي آل عمران (لم تلبسوا الحق بالباطل) يعني لم تخلطوا الحق بالباطل، الإسلام بالشرك، تفسير الحسن، وفي الأنعام: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) يعني لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

والوجه الثاني: اللباس يعني السكن: وذلك قوله في البقرة (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) يقول: نساؤكم سكن لكم وأنتم سكن لهن، وفي الفرقان (جعل لكم الليل لباساً)، يعني سكناً، والتي في عم يتساءلون: (وجعلنا الليل لباساً) يعني سكناً.

والوجه الثالث: اللباس يعني الثياب التي تلبس: وذلك قوله في الأعراف: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم) يعني الثياب، وفي حم الدخان (يلبسون من سندس وإستبرق) يعني الثياب بعينها.

والوجه الرابع: اللباس يعني العمل الصالح: وذلك قوله في الأعراف: (وريشاً ولباس التقوى ذلك خير) يعني العمل الصالح والعفاف، لأن العفيف مستور العورة وإن كان عارياً من الثياب، وأن الفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثياب.

والوجه الخامس: اللبس يعني التشبيه: وذلك قوله في سورة الأنعام: (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يعني ولشبهنا عليهم ما يشبهون.

والوجه السادس: اللباس يعني الشك: وذلك قوله في سورة ق (بل هم في لبس) يعني بل هم في شك (من خلق جديد) يعني في شك، وهو قول الحسن.

وأما إسماعيل بن أحمد الضرير الحيري فيقول: "باب اللباس على ثلاثة أوجه:

أحدها: السكن: كقوله تعالى: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) [البقرة:187]، وقوله تعالى: (وجعلنا الليل لباساً) [النبا:10]

والثاني: الثياب: كقوله تعالى: (لباساً يواري سوءاتكم) [الأعراف:26]

والثالث: الحياء: كقوله تعالى: (ولباس التقوى ذلك خير) [الأعراف:26]، ويقال اللباس: ههنا العمل الصالح".

وأما الحكيم الترمذي فيقول: "وأما قوله: اللباس على كذا وجه! فاللباس: هو الغطاء، إذا غطيت شيئاً وغشيته، فقد ألبسته، وهذه الوجوه ترجع إلى معنى واحد وهو التغطية والستر:

1_ التخليط: وإنما صار اللباس تخليطاً في هذا المكان، فهو أن الحق قائم ظاهر في كل أمر، فإذا جاء العبد بالباطل فغشاه وغطاه بقول أو فعل: فقد خلط الحق بالباطل، وألبس الحق باطلاً .

2_ السكن: وإنما صار اللباس سكناً في مكان آخر، لأن الليل إذا غطى الخلق غشاهم بظلمته، وسكنت النفوس.

3_ السكن بالنسبة إلى النساء: وإنما صار اللباس سكناً في مكان النساء؛ لأنه يتم تغطية الشهوة بوجود الطرف المقابل.

4_ الثياب: وإنما صار اللباس الثياب في مكان آخر، لأنه يغطي الجسد ويغشيه.

5_ العمل الصالح: وإنما صار اللباس العمل الصالح في مكان آخر، لأن العمل السيء قد شان جوارحه وجلدة وجهه وبشرته، فإذا عمل العمل الصالح، غطى نور هذا الفعل ذلك الشين، وغشاه، فاستنارت الجوارح والجلدة، وصار طرياً، وعاد إليه ماء وجهه، بعد أن كان قد علاه المعاصي ودنسها

من خلال ما تقدم نلاحظ أن عدد الوجوه عند يحيى بن سلام 6، في حين هي عند الحيري 3، وأرجعها الحكيم الترمذي إلى معنى واحد وهو التغطية والستر، ورأينا كيف فتد كل قول، وأقام الدليل العقلي على ذلك . أما التباين في العدد بين ابن سلام والحيري، فهناك تشابه في ثلاثة معانٍ وهي: السكن، والثياب، والعمل الصالح، وانفرد الحيري بالوجه الثالث وهو الحياء، فلم يذكره ابن سلام، بينما أتى ابن سلام بثلاثة معانٍ لم يذكرها الحيري في كتابه وهي: الخلط، والتشبيه، والشك، ولا شك أن هذه الكلمات الثلاث متضمنة معنى اللبس.

من أسباب الخطأ في التفسير عدم معرفة الوجوه والنظائر:

ومثال ذلك من فسر قوله تعالى: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) [الصافات:22] بمعنى زوجاتهم، ومثله قوله تعالى: (وإذا النفوس زوجت)، وهذا تفسير بعيد عن معنى الآية، إذ المراد من الآية كما ورد عن عمر بن الخطاب: "يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وكذلك تزويج الأنفس، ولهذا قال ابن قتيبة: "قرنت بأشكالها في الجنة والنار".

ولا نكاد نجد كتاباً من كتب التفسير واللغة وغيرها إلا وفيه إشارات كثيرة مبثوثة هنا وهناك تتحدث عن الوجوه والنظائر، فهذا شيخ المفسرين بالمأثور الإمام الطبري (ت 310هـ) يقول عند تفسير قوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) [البقرة: 269]:

"اختلف أهل التأويل في ذلك:

- فقال بعضهم: الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به
- وقال آخرون: معنى الحكمة الإصابة في القول والفعل
- وقال آخرون: هو العلم بالدين.
- وقال آخرون: الحكمة الفهم.
- وقال آخرون: هي الخشية.
- وقال آخرون: هي النبوة

(ويعلمهم الكتاب والحكمة) [البقرة: 129] فقال: "اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع:

- فقال بعضهم: هي السنّة.
- وقال بعضهم: هي المعرفة بالدين والفقه فيه.

ثم رجّح القولين معاً فقال: "والصواب من القول عندنا في الحكمة أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة الجلسة والقعدة من الجلوس والقعود، يقال منه: "إن فلاناً لحكيم بين الحكمة" يعني به إنه لبين الإصابة في القول والفعل.

* وإذا رجعنا إلى الوجوه التي ذكرها الإمام الطبري في الآية السابقة فإننا نراها متداخلة فيما بينها وأنها تعود إلى معنى واحد وهو الإصابة في القول والفعل، وقد مّح إلى ذلك فقال: إذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في

الأمر إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك، كان المصيب عن فهم منه بموضع الصواب في أموره فهماً خاشياً لله، فقيهاً عالماً، وكانت النبوة من أقسامه، لأن الأنبياء مسددون مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب، والنبوة بعض معاني الحكمة .

وأما الرازي فقال في تفسير قوله تعالى: (ويعلمهم الكتاب والحكمة): "واعلم أن الحكمة هي الإصابة في القول والعمل، ولا يسمى حكيماً إلا من اجتمع له الأمران، وقيل: أصلها من أحكمت الشيء أي رددته، فكأن الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ، وذلك إنما يكون بما ذكرنا من الإصابة في القول والفعل، ووضع كل شيء موضعه . ثم قال: واختلف المفسرون في المراد بالحكمة ههنا على وجوه:

أحدها: قال ابن وهب، قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: معرفة الدين، والفقه فيه، والاتباع له.

وثانيها: قال الشافعي: الحكمة سنة رسول الله، وهو قول قتادة، ولهذا قال أصحاب الشافعي: والدليل عليه أنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولاً وتعليمه ثانياً ثم عطف عليه الحكمة، فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئاً خارجاً عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول.

وثالثها: الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل، وهو مصدر بمعنى الحكم، كالقعدة والجلسة.

ورابعها: أراد بالحكمة الآيات المتشابهات.

وخامسها: أراد بالحكمة أنه يعلمهم حكمة تلك الشرائع، وما فيها من وجوه المصالح والمنافع.

ثم قال الرازي: "ومن الناس من قال: الكل صفات الكتاب كأنه تعالى وصفه بأنه كتاب حكمة".

ويلاحظ هنا أن الإمام الرازي بعد أن عرف الحكمة بأنها الإصابة في القول والعمل، ذكر عدة وجوه لمعنى الحكمة، وبالتأمل نجد أنها تعود لمعنى القرآن أو السنة، وهذا ما رجحه الإمام الطبري سابقاً، والله أعلم.

هذا العلم من أعظم أوجه إعجاز القرآن الكريم:

جعل الإمام السيوطي شطر كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) للحديث عن هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فقال: "الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه: ألفاظه المشتركة"، إذ الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

وإذا نظر المفسر البارع في فروع البلاغة، المتذوق لجمال الكلام وأساليبه، إلى الوجوه والنظائر وكيفية استخدام القرآن الكريم لها، وإلى سائر ألفاظه ومعانيه، وجد أن المعنى في هذه الكلمة هنا لا يمكن أن يعوض عنه بأي كلمة أخرى، أو أن يأتي بمعنى آخر للكلمة نفسها، وقديماً قال ابن عطية الأندلسي: "لو نزعت لفظة من كتاب الله تعالى ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد".

وخذ على سبيل المثال قول الله تعالى: (والصبح إذا تنفس) [التكوير:18] فإن علماء الوجوه والنظائر ذكروا لكلمة (الصبح) عدة وجوه منها الفجر.

قال الحِبري الضرير: "باب: فجر على أربعة أوجه: أحدها: الصبح، كقوله تعالى: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) [البقرة:187]".

وقال قتادة: "الفجر صبح أول يوم من المحرم، مستدلاً بقوله تعالى (والفجر وليال عشر) [الفجر:1-2]".

وقال الدامغاني: "تفسير الفجر على ستة أوجه... وذكر منها الصبح، مستدلاً بقوله تعالى: (والفجر وليال عشر)".

وعلى الرغم من أن كلمة الفجر تضمنت معنى الصبح، وكذلك الصبح تضمنت معنى الفجر، إلا أنك لا تستطيع أن تضع كلمة الصبح مكان الفجر، ولا كلمة الفجر مكان الصبح، وإلا لأدّى إلى اختلال المعنى، لأننا إذا نظرنا إلى حروف كلمة الصبح فإننا نراها في غاية الانسجام والتآلف مع ما جيئت من أجله وهو التنفس، فإن حرف الصاد مع ما فيه من استعلاء وهمس وصفير، والباء مع ما فيه من قلقلة وانفتاح وإذلاق، والحاء مع ما فيه من همس ورخاوة وغيرها من الصفات التي تعطي للكلمة معنى التنفس والارتياح

والانبساط، أما إذا نظرت إلى حروف الفجر فإنك ستجد أن الغالب على الكلمة حروف الشدة والإصمات والتفخيم والتعطيش، فكيف يليق بهذه الصفات التنفس والهدوء، الذي يبعث على الحياة، فيدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء.

وصدق الإمام الباقلاني: "واعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا أهل بيت عصمة تفظن لما فيه، وهو أدق من السحر، وأهول من البحر، وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً، وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع وتزل عن مكان لا تزل فيه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه وتضرب بجرائها، وتراها في مكانها، وتجدها غير منازعة في أوطانها، وتجدها الأخرى لو وضعت في موضعها لكانت في محل نفار، ومرمى شرار، ونايية عن استقرار...".

المحاضرة الثالثة عشر: علم غريب القرآن

بعد ابتعاد المسلمين عن عصر النبوة، واتساع رقعة الفتوحات الإسلامية، ظهرت حاجة ماسة إلى تفسير كلام الله تعالى وتقريبه من الأذهان. فنشأ التفسير بسيطاً في البداية حتى صار علوماً مستقلة ومتراصة فيما بينها. ومن أبرز هذه العلوم علمٌ يهتم بتفسير الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، يُصطلح عليه بعلم الغريب القرآني.

ونسعى من خلال هذه المحاضرة إلى تعريف هذا العلم لغة واصطلاحاً، ثم ذكر بعض أسباب غرابة ألفاظ القرآن الكريم، وأهمية هذا العلم واستمداده. كما نهدف إلى تقديم نبذة عن نشأته وتطوره، وبعض أبرز مؤلفاته منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر. وأخيراً نأتي بنماذج تطبيقية، نهدف من خلالها إلى عرض بعض مناهج المؤلفين وطرقهم في التأليف، وذلك من خلال ثلاث مؤلفات، هي: "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة، و"المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني، ثم "تحفة الأريب بما في القرآن من غريب" لأبي حيان الأندلسي.

1. تعريف علم الغريب:

أ { المعنى اللغوي:

تدل مادة "عَرَب" في قواميس اللغة على جملة من المعاني، منها الغياب والبعد والغموض والخفاء... قال الزمخشري: "عرب: بَعُد... وغربت الوحش في مغارها، أي: غابت في مكانها... ورمى فأعرب، أي: أبعد المرمى... وتكلم فأعرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وقد غُرِبَت هذه الكلمة، أي: غمضت فهي غريبة...".

وقال ابن منظور: "عرب، أي: بَعُد، ويقال أُعْرب عني، أي: تباعد... وغربت الكلاب: أي: أمعنت في طلب الصيد... والغريب: الغامض من الكلام".

والغريب من الكلام على حد تعبير أبي سليمان الخطابي: "الغامض البعيد عن الفهم، كما أن الغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه، لا يتناول الفهم إلا عن بُعد ومعاناة فكر. والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها".

ب { المعنى الاصطلاحي:

الغريب من القرآن هو الألفاظ الغامضة التي لم تتضح دلالتها على المعنى بشكل ظاهر، وهي على وجهين:

- إما أن يكون معناها غامضاً لا يفهم إلا بعد بحث وتنقيب وجهه.

- وإما أن يكون معناها معروفاً لدى قوم دون غيرهم، لأنها مستعملة في لغتهم.

ولا يُقصد بها الحوشي والوخشي من الألفاظ، والذي ينافي الفصاحة ويُخلُّ بها، فألفاظ القرآن الكريم كلها فصيحة تُجَلُّ وتُنزّه عن هذا الوصف.

وسمي بذلك لبعده عن ظاهر الفهم، أو لأنه كالمنفرد عن الألفاظ الأخرى القريبة للفهم، وسبب الغرابة قد يكون لقلة استعمال الكلمة، أو لاستعمالها في كناية أو استعارة أو مجاز، أو لقلة علم القارئ والسامع باللغة، وهو كثير جداً، وازداد كثرة باختلاط العرب بالعجم، وبُعد العهد عن عصر الصحابة رضي الله عنهم.

وعليه فعلم غريب القرآن؛ هو العلم الذي يهتم بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب وكلامهم. قال أبو حيان الأندلسي: "لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم: يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت. وقسم: يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه، وسمّوه: غريب القرآن".

2. بعض أسباب غرابة اللفظ القرآني:

أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين، ومع ذلك وقف الصحابة على بعض ألفاظه فلم يفهموا معناها، وبدأت دأثرها تتسع في عهد التابعين ومن بعدهم لعدة أسباب:

1 اشتمال القرآن على لغات العرب، من ثقيف وهذيل وغيرهم، فقد رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يخاطب وفد بني فهد، قال: "يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: أدبني ربي فأحسن تأديبي، ورُيت في بني سعد".

2 اشتمال القرآن الكريم على ألفاظ مُعرّبة، تصادف وجودها عند أمم أخرى. مثل: {غسلين} [الحاقة:36] ومعناها صديد أهل النار. و{قمطيرا} [الإنسان:10] معناها: شديدا. و{استبرق} [الكهف:31] معناها الديباج.

3 اشتماله على بعض الخصائص التي تمتاز بها مفردات اللغة العربية كالترادف والمشارك اللفظي والتضاد. فمن أمثلة الترادف (الأسف) وهو الحزن إلا في قوله تعالى: {فلما آسفونا} [الزخرف:55] فمعناها أغضبونا. ومن التضاد قوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء} [البقرة:227] فالقراء عند أهل الحجاز يعني الطهر، وعند أهل العراق يعني الحيض.

4 المعاني الإسلامية الجديدة التي أكسبها القرآن للألفاظ العربية، ولم تكن للعرب معرفة بها في الجاهلية، كأسماء الله الحسنى والاصطلاحات الفقهية وأسماء الآخرة كالصاخة والقارعة والواقعة.

5 دخول اللسان الأعجمي إلى الإسلام إثر الفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من لحنٍ وابتعادٍ عن الفصاحة التي عرفها عصر الاستشهاد.

3. لمحة عن أهمية علم الغريب القرآني:

تكمن أهمية علم الغريب القرآني في كونه يتعلق بشرح ألفاظ القرآن الكريم، فهو يمثل المفتاح لفهم كتاب الله تعالى، ويساعد العلماء على استنباط الأحكام الشرعية منه. يقول الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن": "إن أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه... وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن

هي لب كلام العرب وزبدته... وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم".

وقد ذكر السيوطي أنه ينبغي الاعتناء بغريب القرآن، واستدل بما أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائب»... وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً: «من قرأ القرآن فأعربه، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة».

والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، ولا يراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة. ومن أجل ذلك؛ نبه الزركشي إلى أن معرفة هذا الفن للمفسر ضروري جداً، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى.

وقال عبد الحميد الفراهي: «لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى لفهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يُفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن، أغلق عليه باب التدبر وأشكّل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والصور».

ولغريب القرآن أهمية لغوية أيضاً إضافة لأهميته الدينية؛ لأنه يمثل تطور الألفاظ العربية، التي أصبحت بعد نزول القرآن ذات معنيين: معنى لغوي تعرفه العرب، ومعنى اصطلاحى شرعى إسلامي جديد.

وعلى العموم؛ يمكن أن نجمل أهمية علم الغريب القرآني في النقاط الآتية:

- لا يمكن تدبر القرآن وفهمه دون معرفة بمعاني الألفاظ الغريبة.
- يتوقف تفسير القرآن عليه، ويمثل عمدة للفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية.
- يبرز ثروة القرآن اللغوية، وفي ذلك إعجاز لأنه أحاط بلغات العرب.

4. أهم مصادر تفسير غريب القرآن:

القرآن:

من مصادر تفسير غريب القرآن القرآن الكريم نفسه، لأن فيه آيات يُفسَّرُ بَعْضُهَا ألفاظَ بعض، من ذلك قوله تعالى: {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام:82]، فُسِّرَ فعل الظلم بالشرك لقوله تعالى: {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:13].

الحديث:

ومن مصادره أيضا الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسيره لألفاظ القرآن الكريم، منها ما أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم قال: "قلت يا رسول الله، ما {الخيط الأبيض من الخيط الأسود} [البقرة:187] أهما خيطان؟ قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: بل هو سواد الليل وبياض النهار".

آثار الصحابة:

ومن مصادره أيضا أقوال الصحابة، الذين عايشوا الظروف والأحداث التي واكبت نزول القرآن، وعاشوا عصر الاستشهاد الذي عُرف بالفصاحة والبيان.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا التبس عليهم لفظ من القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، رجعوا إليه صلى الله عليه وسلم ليفسره لهم. ومن الشواهد الحديثية على ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه سُئِلَ عن تفسير قوله تعالى {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس:26] فقال: فيما يروي عنه أنس رضي الله عنه "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا" أي: العمل في الدنيا، لهم الحسنَى: وهي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله تعالى".

وكانوا يرجعون إلى بعضهم البعض بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب: أنه بينما هو رضي الله عنه على المنبر، قال: يا أيها الناس، ما تقولون في قوله عز وجل {أَوْ يَأْخُذْكُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ} [النحل،47]؟ فسكت الناس، فقال شيخ من هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقص... فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال نعم: قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقه:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفِينُ

فقال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس، عليكم بديوان شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم".

اللغة العربية:

كان المفسرون يعتمدون بشكل كبير في تفسيرهم لغريب القرآن على لغة العرب وأشعارهم وأساليبهم في الخطاب. وكانوا يجدون في الشعر كلما تقدم الزمن بصاحبه، مصدرا للاستشهاد والاحتجاج.

وقد قال الإمام مالك بن أنس: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا". وقال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب". وقال السيوطي في الإتقان: "قال أبو بكر بن الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر. وأنكر جماعة - لا علم لهم - على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن. وقالوا: كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث!؟"

قال: وليس الأمر كما زعموا من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال: {إنا جعلناه قرآنا عربيا} [الزخرف:3]، وقال {بلسان عربي مبين} [الشعراء:195].

وقال ابن عباس: "الشعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديواننا، فالتمسنا معرفة ذلك منه".

ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".

ومن ذلك إجابات ابن عباس عن مسائل نافع بن الأزرق الخارجي الذي كان يسأل عن أشياء من كتاب الله تعالى ويطلب تفسيرها من كلام العرب. وقد ضمها السيوطي في كتابه الإتقان، إذ بلغت مائة وتسعين مسألة؛ منها:

* قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: {عن اليمين وعن الشمال عزين} [المعارج: 37]، قال: العزون حلق الرفاق⁸³. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبید بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزيزا

* قال: أخبرني عن قوله تعالى {وابتغوا إليه الوسيلة} [المائدة: 35] قال الوسيلة: الحاجة. قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنزة وهو يقول:

إِنَّ الرَّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْخَلِي وَتَخْضَبِي

هكذا؛ فالاحتجاج بالشعر لتفسير ألفاظ القرآن الكريم وصية الصحابة رضوان الله عليهم.

ومع مرور الزمن، بعد جمع اللغة وتدوينها، أصبح العلم بعلم اللغة ومعجمها (وبكل اللغة نحوا وصرفا وبلاغة...) يشكل مطلبا ضروريا لفهم معاني ألفاظ القرآن الكريم. يقول الزركشي: "يحتاج الكاشف عن معاني القرآن إلى معرفة علم اللغة، اسما وفعلا وحرفا، فالحروف -لقلتها- تكلم النحاة عن معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم. أما الأسماء والأفعال، فيؤخذ ذلك من كتب اللغة".

وكتب غريب القرآن تُعنى بدلالة ألفاظه، دون غيرها من المباحث المتعلقة بالتفسير أو المعاني.

وهو جزء من علم معاني القرآن؛ لأن علم معاني القرآن يقوم على بيان المفردات أولاً، ثم يُبيّن المعنى المراد بالآية، مع الاعتناء بأسلوب العرب الذي نزل به القرآن.

5. لمحة عن نشأة علم الغريب وتطوره:

⁸³ ومعناه أن الناس كانوا جماعات متفرقة حول النبي ﷺ، يلتفون حوله في حلق ومجالس متفرقة، لا يجتمعون كصف واحد، بل كأفراد متفرقين (رفاقاً) كل مجموعة في ناحية.

أخرج أبو عبيد في "الفضائل" عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى {وفاكهة وأب} [عبس:31] فقال: أي سماء تظلي وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ وأخرج عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر {وفاكهة وأب}، فقال: هذه الفاكهة عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا هو الكلف يا عمر".

ومن الصحابة الذين أقدموا على تفسير ألفاظ القرآن الكريم عبد الله بن عباس، قال السيوطي: "وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما {فاطر السماوات}، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتهما، يقول: أنا ابتدأتها".

ولما اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واختلط العرب بالعجم، وامتزجت الألسن وتداخلت اللغات؛ ظهرت حاجة ملحة من المسلمين لمعرفة ما لا يفهمون معناه من كتاب الله تعالى. فاجتهد التابعون في تكميل هذا النقص، وسلكوا سبيل الصحابة في ذلك حتى انقضى عهدهم. وجاء من جاء بعدهم، فألفوا مؤلفات في شرح غريب القرآن. "فكانت هذه المحاولات اللغوية لتفسير ألفاظ القرآن الكريم هي الخطوة الممهدة للتأليف في التفسير. وهكذا صار علم غريب القرآن علما قرآنيا مستقلا، أُلّف فيه كبار العلماء واللغويين والمفسرين، تيسيرا للناس كي يفهموا ما غمض عليهم من كلام الله عز وجل. وتطور التأليف فيه بما يلاءم كل عصر، حتى قال السيوطي "أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون".

6. إشارات إلى التأليف في علم الغريب القرآني:

نشأت حركة التأليف في علم الغريب في عهد مبكر، في النصف الأول من القرن الأول، وهو عهد الصحابة. فظهرت في البداية في شكل روايات، كالروايات المنسوبة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما. فكانت هذه الاجتهادات التي رواها عنه أصحابه والآخذون عنه أول باكورة في معاجم تفسير غريب القرآن الكريم، وأقدم ما وصل إلينا من التأليف في هذا العلم. قال السيوطي: «وَأَوَّلَى ما يُرْجَع إليه في ذلك ما ثبت عن

ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه؛ فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة». وقد شُكِّ في صحة نسبة هذه الروايات لابن عباس، وقيل إنها من صنع من جاء بعده.

ويقال: إنّ أوّل من صنف كتابا في علم الغريب هو أبان بن تغلب البكري (ت141هـ). كما أشار حاجي خليفة عند وصفه لكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ) أنّه سبّاق للتأليف في هذا العلم.

بالنظر لطرق تأليف الأوائل لكتب غريب القرآن، يبدو أنهم لم يقصدوا فيها التأليف لذاته. إنما جاءت كتبهم استجابة لحاجة الناس إلى تفسيرٍ يُيسِّرُ لَهُمْ فَهْمَ ألفاظ القرآن الكريم. وحين تطور التأليف في هذا العلم وصار علما قائما، سَلَكَ فيه المؤلفون أربعة طرقٍ مختلفة:

الطريق الأول: ترتيب الألفاظ وَفْقًا لترتيب سور القرآن الكريم، ثم وفقا لترتيب الآيات التي تتضمنها داخل كل سورة. وقد سلك هذا المسلك كثير من المؤلفين، منهم: ابن قتيبة (276هـ) في "تفسير غريب القرآن"، وابن الهائم (815هـ) في "التيان في غريب القرآن"...

الطريق الثاني: ترتيب الألفاظ المفسرة حسب الترتيب الأبجائي، مثل ما عند الراغب الأصفهاني (502هـ) في "المفردات في غريب القرآن"، والسمين الحلبي (756هـ) في "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ".

الطريق الثالث: ترتيب الكلمات حسب أواخرها أولا ثم حسب أوائلها. وقد سار على هذا النظام محمد بن أبي بكر الرازي (666هـ) في كتابه: "روضة الفصاحة في غريب القرآن"، مقلدا الجواهري في معجمه: "تاج اللغة وصحاح العربية".

الطريق الرابع: ترتيب الألفاظ حسب حرفها الأول ثم الأخير دون اعتبار الحروف الزائدة. ومن تبع هذا النظام أبو حيان الأندلسي (745هـ) في كتابه: "تحفة الأريب بما في القرآن من غريب"، جامعا بين ترتيب الجواهري.

7. أبرز المصنفات في علم غريب القرآن:

عرف التأليف في هذا العلم منذ القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري كمًّا غزيرًا من التأليف، وقد اكتفينا بذكر بعض منها، تبعًا للتسلسل الزمني حسب القرون:

أ- القرن الأول الهجري:

- 1 - "مسائل نافع بن الأزرق" (في غريب القرآن) لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت68هـ): وهي أسئلة عن ألفاظ غريبة من القرآن، امتحنه بها نافع بن الأزرق الخارجي (ت65هـ)، أوردها أبو بكر الأنباري (ت328هـ) في كتابه: "إيضاح الوقف والابتداء"، والسيوطي (ت911هـ) في كتابه "الإتقان".
- 2 - "غريب القرآن" لعبد الله بن عباس بتنقيح عطاء بن أبي رباح.

ب- القرن الثاني الهجري:

- 3 - "غريب القرآن" لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح الجري (ت141هـ).
- 4 - "تفسير غريب القرآن" لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ).
- 5 - "غريب القرآن" لأبي مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي (ت195هـ).

ج- القرن الثالث الهجري:

- 6 - "معاني القرآن" لمحمد بن المستنير قطرب (ت206هـ).
- 7 - "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ).
- 8 - "غريب القرآن" لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ).
- 9 - "تفسير غريب القرآن" لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ).
- 10 - "غريب القرآن"؛ لأحمد بن يحيى بن زيد الشيباني الملقب بثعلب (ت291هـ).

د- القرن الرابع الهجري:

- 11 - "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن" ويشتهر أيضا بـ"التبيان في تفسير غريب القرآن"؛ لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت330هـ).

- 12 - "معاني القرآن"؛ لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ).
- 13 - "ياقوتة الصراط في غريب القرآن"؛ لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بـ غلام ثعلب (ت 345 هـ).
- 14 - "الإشارة"؛ لأبي بكر محمد بن محمد الحسن الأنصاري الموصلبي المعروف بالنقاش (ت351هـ).
- هـ- القرن الخامس الهجري:**
- 15 - "العمدة في غريب القرآن"؛ لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (438هـ)، وهو مختصر عن كتابه: "تفسير المشكل من غريب القرآن".
- 16 - "القرطين"؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني (ت 454هـ)، وقد جمع في كتابه هذا بين كتابي "غريب القرآن" و"مشكل القرآن" لابن قتيبة.
- و- القرن السادس الهجري:**
- 17 - "المفردات في غريب القرآن"؛ للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد أبي القاسم (ت502هـ).
- 18 - "الأريب بما في القرآن من الغريب"؛ لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي أبي الفرج (ت597هـ).
- ز- القرن السابع الهجري:**
- 19 - "روضة الفصاحة في غريب القرآن"؛ لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت666هـ)، صاحب قاموس "مختار الصحاح".
- ح- القرن الثامن الهجري:**
- 20 - "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب"؛ لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت745هـ).
- 21 - "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"؛ لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ).

ط- القرن التاسع الهجري:

22 - "تفسير غريب القرآن" لابن الملتن سراج الدين أبي حفص عمر بن أحمد الأنصاري (ت804هـ).

23 - "التبيان في تفسير غريب القرآن"؛ لشهاب الدين أحمد بن محمد ابن الهائم الشافعي (ت815هـ).

ي- القرن العاشر الهجري:

24 - "غريب القرآن"؛ لابن شحنة سُري الدين محمد بن محمد الحلبي (ت921هـ).

ن- القرن الحادي عشر الهجري:

25 - "التيسير العجيب في تفسير الغريب"؛ لأبي العباس الزناتي المكناسي أحمد ابن القاضي وجيه الدين (ت1025هـ).

ك- القرن الثاني عشر الهجري:

26 - "تفسير غريب القرآن"؛ للأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل اليمني (ت1182هـ).

ل - القرن الثالث عشر الهجري:

27 - "رسالة في تفسير غريب القرآن العظيم"؛ لمصطفى بن السيد حنفي بن حسن الذهبي (ت1280هـ).

م- القرن الرابع عشر الهجري:

28 - "هدية الإخوان في تفسير ما أُجِّم على العامة من ألفاظ القرآن"؛ للأسير البيروتي مصطفى بن يوسف بن عبد القادر، توفي سنة 1333هـ.

29 - "كلمات القرآن تفسير وبيان"؛ للشيخ حسنين محمد مخلوف (ت1355هـ).

30 - "معجم ألفاظ القرآن الكريم"؛ وضعه أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة، الشيخ إبراهيم حمروش وإبراهيم مصطفى وعبد الوهاب خلاف وعلي عبد الرزاق ومحمد حسين هيكل ومحمد شلتوت وعبد

القادر المغربي وأحمد إبراهيم وعلي الجارم ومصطفى عبد الرزاق؛ وهو معجم مرتب على حروف الهجاء⁸⁴.

31_ السراج في بيان غريب القرآن: محمد بن عبد العزيز الحضيبي.

32_ القرآن تدبر وعمل"، تأليف: مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

منظومات في غريب القرآن:

1. أرجوزة في غريب القرآن، لأبي زكريا يحيى بن محمد بن خلف الهوزني الإشبيلي، المتوفى سنة 602 هـ.
2. التيسير العجيب في تفسير الغريب، لأبي العباس ناصر الدين أحمد بن محمد المالكي الإسكندراني، المشهور بابن المنيّر، المتوفى سنة 683 هـ. (2482) بيتاً. نموذج من النظم [من سورة المسد]:
﴿تَبَّتْ﴾ بمعنى خَسِرَتْ وخَابَتْ وأخطأت قطعاً وما أصابت
و﴿كَسَبَ﴾ المراد كَسَبُهُ الولد لم يُعْنِ عنه ماله ولا العدد
و﴿الْحَطَبُ﴾ الشوك وكانت تلقى عند طريق المصطفى لتؤذيه
وقيل بل تَنُمُّ بالأخبار تُوقدُ نارَ الشرِّ والشنارِ
3. نظم غريب القرآن، في مجلدين، للشيخ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدّميري، المتوفى سنة 694 هـ.
4. نظم غريب القرآن لابن عَزِيز، لمالك بن عبد الرحمن بن فرج المصمودي، المشهور بابن المرحّل، المتوفى سنة 699 هـ.
5. عقد البكر في نظم غريب الدِّكْرِ، لأحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضى الشافعي الحلبي، المتوفى سنة 791 هـ.
6. نظم غريب القرآن، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، المتوفى سنة 806 هـ. نظم فيها كتاب تحفة الأريب لأبي حيان.

⁸⁴ علم الغريب القرآني استفادت منه العديد من العلوم. ومنها اللغة العربية، حيث كانت حركة التأليف في غريب القرآن ممهدة لجمع اللغة وشرحها وتدوينها في معاجم وموسوعات؛ حتى وصلت لما وصلت له من ازدهار...

7. أنيس الغريب وجليس الأريب في نظم الغريب، لأبي الفتح الجلال نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التستري البغدادي الحنبلي.
8. تقي الدين أبو العباس حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي الناشري اليمني، المتوفى سنة 926 هـ، له: ألفية في غريب القرآن.
9. نظم غريب القرآن، لمحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي، المتوفى سنة 1323 هـ.
- 10 -نظم في غريب القرآن، في نحو خمسمائة بيت، للمرابط محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بيه بن المختار الحكني، المتوفى سنة 1335 هـ.
- 11 -منظومة نبراس أهل السنة في تفسير غريب القرآن والحديث وشرحها، لمحمد بن محمد المختار العلوي، المتوفى سنة 1349 هـ.
- 12 -نظم غريب القرآن، للشيخ محمد أحمد بن الرباني التندغي، المتوفى سنة 1353 هـ.
- 13 -منظومة في تفسير بعض غريب القرآن، لأبي بكر بن سيد أحمد الديباني، المتوفى سنة 1363 هـ.
- 14 -دلائل التبيان في نظم غريب القرآن، لقاسم بن الحسن بن موسى بن شريف آل محي الدين الجامعي العاملي النجفي، المتوفى سنة 1376 هـ، يقول فيها:
- سميتها (دلائل التبيان) في حلّ ألفاظ من القرآن
- ومنها:

وَفَسَّرُوا الْقَثَاءَ بِالْخِيَارِ	أَوْ مَا يُضَاهِيهِ مِنَ الْأَثْمَارِ
وَقِيلَ مَطْلَقُ الْحُبُوبِ الْفُومُ	أَوْ قَمْحٌ أَوْ خَبْزٌ وَقِيلَ الثُومُ
﴿بَاءُؤَا﴾ بِمَعْنَى انصَرَفُوا أَوْ رَجَعُوا	وَهِيَ لَغِيْرُ الشَّرِّ لَيْسَتْ تُسْمَعُ
﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ مِنْ هُمْ قَدْ خَرَجُوا	عَنْ دِينِهِمْ وَفِي سِوَاهِ وَلَجُوا

- 15 -منظومة في غريب القرآن، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المقرئ المجاصي، منظومة 695 بيتاً.
- 16 -نظم غريب القرآن، لمحمد الطاهر التليلي السوفي الجزائري.

17- نظم في غريب القرآن، للمختار السالم بن علي التندغي.

18_ألفية الغريب لابن العالم الجزائري.

8. أمثلة عن الغريب:

أُبْسِل: ورد في قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا)؛ قال الحسن: أُبْسِلُوا أُسْلِمُوا بِجَرَائِرِهِمْ، وقيل أَيِ ارْزُقُونُوا، وقيل أَهْلِكُوا، وقال مجاهد فُضِحُوا، وقال قتادة حُسُوا. وَأَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ؛ أَيِ تُسَلَّمُ لِلْهَلَاكِ؛ قال أبو منصور أَيِ لَمَّا تُسَلَّمُ نَفْسٌ إِلَى الْعَذَابِ بِعَمَلِهَا، قوله تعالى (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ): أَيِ تُحْبَسُ فِي جَهَنَّمَ. أبو الهيثم: يُقَالُ أُبْسِلْتُهُ بِجَرِيرَتِهِ أَيِ أُسْلِمْتُهُ بِهَا، قال: وَيُقَالُ جَزَيْتُهُ بِهَا: ابْنُ سِيدِهِ: أُبْسِلَهُ لَكَذَا رَهَقَهُ وَعَرَّضَهُ

ران: الرين: صَدَأَ يَعلو الشيء الجليل، (بل ران على قلوبهم) أَي صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر. وقال الشاعر «إذا ران النعاس بهم» وقد رين على قلبه
حصب: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)، الحصب، ما يحصب به في النار أَي يلقى فيها، وحصبته بحجر، أَي رميته به، وأصله من الحصباء، وهي الحصى. وحصب النار بالحصب: أضرّمها.

9. نماذج تطبيقية من بعض كتب الغريب القرآني:

اختلف أهل علم الغريب - فيما بينهم - اختلافاً بيناً في شرح المفردات الغريبة، مثل اختلافهم في طرق التصنيف والتأليف. فمنهم من مال إلى الاختصار الشديد، فاقصر على الشرح اللغوي للفظ القرآني. ومنهم من مال إلى الإطالة وجمع المادة العلمية حول اللفظ المُفسَّر. ومنهم من وفق بين الطريقتين، فتجنب الاختصار الشديد كما تجاوز الإطالة الممّلة. وسنذكر فيما يلي نموذجاً لكل طريقة من الطرق الثلاث:

أولاً: "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة 276هـ:

اعتمد ابنُ قتيبة في كتابه على ترتيب الألفاظ الغريبة حسب سور القرآن الكريم، والتزم في ذلك التوسط والاعتدال، إذ فسّر اللفظ في سياقه، ثم بيّن أصله الذي اشتق منه دون إسهاب في القول، وأحيانا يستشهد عليه بالشعر أو بأقوال الصحابة.

نموذج من الكتاب: في سورة الهمزة:

1 - (الهمزة): العَيَّاب والطَّعان، و(اللمزة) مثله. وأصل الهمز واللمز: الدفع.

4 - (لينبذن): ليطرحن.

ثانيا: "المفردات في غريب القرآن" للأصفهاني 502هـ:

سلك الأصفهاني في ترتيبه لألفاظ القرآن الكريم مسلك معاجم اللغة. وذلك باتباعه الترتيب الألفبائي للجذر اللغوي للكلمة، حيث يقدم اللفظة ويحدد معناها، ثم يسوق أهم الآيات التي ضَمَّنَتْها، مبينا الفروق بين المعاني الدقيقة للألفاظ، بناء على اشتقاقاتها الصرفية أو المعجمية، مراعيًا السياق في ذلك. وقد يعزز شرحه بالإتيان بشواهد من الحديث الشريف أو الشعر، وأحيانا يورد أوجه القراءات التي تضيف معاني أخرى لللفظ.

نموذج من كتاب الزاي:

زيد: الزَيْدُ زَيْدُ الماء، وقد أزيد أي صار ذا زيدٍ. قال: {فأما الزَّيْدُ فيذهب جُفَاءً} والزَّيْدُ اشتق منه لمشابهته إياه في اللون، وزَيْدَتُهُ زيدا أعطيته مالا كالزَّيْدِ كثرة وأطعمته الزُّبْدَةَ، والزَّيْبَادُ نَوْرٌ يُشْبِهُه بياضا.

زبر: الزُّبْرَةُ قِطْعَةُ عظيمة من الحديد، جمعه زُبْرٌ. قال: {آتوني زبر الحديد} وقد يقال الزُّبْرَةُ من الشَّعَرِ جمعه زُبْرٌ، واستعير للمجرى، قال: {فَتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم زُبْرا} أي صاروا فيه أحزابا. وزَبْرَتُ الكتاب كتبه كتابة عظيمة، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له زُبُورٌ، وحُصَّ الزُّبُور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، قال: {وآتينا داود زبوراً} {ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر} وقرئ زُبُورا بضم الزاي، وذلك جمع زُبُور، كقولهم في جمع ظريف ظُرُوف، أو يكون جمع زِبْرِ، وزِبْرٌ مصدرٌ سُمِّيَ به كالكتاب، ثم جُمع على زِبْرِ كما جُمع كتاب

على كتب، وقيل بل الزُّبُورُ كل كتاب صُعِبَ الوقوف عليه من الكتب الإلهية، قال: {وإنه لفي زُبُرِ الأولين} قال {والزُّبُرُ والكتاب المنير} {أم لكم براءة في الزبر} وقال بعضهم: الزُّبُورُ اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية...

زج: الزُّجاج حجر شفاف، الواحدة زجاجة، قال: {المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري} والزُّجُّ حديدة أسفل الرمح جمعه زجاج، وزججت الرجل طعنته بالزُّج، وأزججت الرمح جعلت له زُجًا... والزُّجُّ دقة في الحاجبين مشبه بالزُّج...

ثالثا: "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" لأبي حيان الأندلسي 754هـ:

يعتمد أبو حيان الأندلسي طريقة ترتيب الألفاظ حسب حرفها الأول فالأخير، دون مراعاة وسط الكلمة والحروف الزائدة. ويقتصر على ذكر المعنى اللغوي للفظ القرآني مباشرة دون أن يهتم بالقضايا اللغوية أو الصرفية أو النحوية، ودون ذكر أحد من اللغويين والمفسرين أو الاستشهاد بشاهد. وأحيانا؛ يفصح عن عدد الأقوال التي قيلت في لفظة ما، ثم يرجح أنسبها. كما أنه لا يشير إلى الآية والسورة التي ترد فيها اللفظة الغريبة.

نماذج من حرف الهمزة:

أَبَبُ: {الأبُّ}: ما رعته الأنعام، وقيل: هو للبهائم كالفاكهة للناس.

أَرَبُ: {الإِزْبَةُ}: الحاجة.

أَوَبُ: {أَوَابُ}: رجَّاع - {أَوِي}: سبَّحي.

أَلَتُ: {أَلَتُ}: نقص، ويقال: لات يليت.

أَمَتُ: {الأَمَتُ}: الارتفاع والهبوط.

أَثُ: {الأَثَاثُ}: المتاع.

نماذج من حرف الميم:

مَلَأُ: {المَلَأُ}: الأشراف.

مقت: {مقتنا}: بُغضا.

مشج: {أمشاج}: اختلاط، واحدها: مَشَج ومشيج ومِشج. وهو هنا اختلاط النطفة بالدم.

مرج: {مرج البحرين}: خلى بينهما، مَرَجْتُ الدَّابَّةَ، خَلَيْتُهَا تَرَعَى. وقيل خَلَطَهُمَا. {مريج}: مختلط -

موج: {مَوْج}: مضطرب.

مسح: {المسيح}: في اشتقاقه ستة أقوال أحدها: أن يكون مبالغة، فيكون معناه: يمسح المرض عن المريض.

المعرب في القرآن

يتصل هذا بغريب القرآن، لأنه لا بد من معرفته لتفسير القرآن الكريم فهو نوع من غريب القرآن. وهو الألفاظ التي وقعت في القرآن من غير لغة العرب.

وقد كثر فيه الكلام منذ القدم، وتعرض له العلماء كثيرا في كتب علوم القرآن، وكتب التفسير، وكتب اللغة وغيرها، وألّفت فيه كتب وبحوث مفردة، وقد بلغت نحو خمس عشرة ومائة كلمة (١١٥)، أحصاها السيوطي وتكلم عليها بإيجاز في كتابه: "الإتقان في علوم القرآن". ومن أمثلته:

- أرائك: السرر بالحبشية، وردت في قوله تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}.

- استبرق: الديباج الغليظ بلغة العجم، وسندس: رقيق الديباج بالفارسية، وردت في قوله تعالى: {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ}.

- الحبث: الشيطان بلغة الحبشة، أو الساحر، وردت في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبِّتِ وَالطَّاغُوتِ ..}.

- جهنم: قيل: فارسية وعبرانية، وقيل: أعجمية، وردت في قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

- سَجِيل: بالفارسية، أولها حجارة وآخرها طين، وردت في قوله تعالى: {تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سَجِيلٍ}.

- فردوس: بستان الكرم بالرومية، وردت في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}.

- قسورة: الأسد بالحبشية، وردت في قوله تعالى: {فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ}.

وقد اختلف العلماء في قضية المعرب اختلافا كثيرا، فأنكر جمهور العلماء أن يكون في القرآن شيء غير عربي، لأن الله تعالى أنزله بلغة العرب، وقال: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢]. وقال: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء: ١٩٥].

واستدلوا بأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه صلى الله عليه وسلم، وتحدى به العرب العرباء، وأفحم الفصحاء والبلغاء بآياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لاحتجوا عليه، واعترضوا. واستدل من قال بوقوع المعرب في القرآن بوجود ألفاظ فيه هي في لغات غير العرب، كالشواهد التي ذكرناها.

قالوا: إن القرآن حوى علوم الأولين والآخرين، ونبا كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، ليتّم إحاطته بكل شيء، فاختر له من كل لغة أعذبها، وأخفها، وأكثرها استعمالا للعرب». وأيضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلى كل أمة، فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو.

وقد ذهب المحققون إلى التوفيق بين الرأيين، وسبق لذلك الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، وذلك أن هذه الألفاظ أصولها أعجمية، لكنها وقعت للعرب، فعربت بها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فخاطبهم بها، لأنها صارت من لسانهم.

المحاضرة الرابعة عشر: علم معاني القرآن

يُعَدُّ علم الغريب وسيلة لفهم المعاني، غير أنَّ علم المعاني هو غايته، لذلك استقلَّ بمؤلفاته عن غريب القرآن الذي كان يقتصر على شرح الألفاظ الغامضة، ثم توسَّع ليشمل الإعراب والبلاغة والتفسير، فحمل اسم معاني القرآن. ويرتبط علم المعاني ارتباطاً وثيقاً بإعجاز القرآن، خاصة إعجازه في النظم، لاعتماده على القواعد النحوية والبلاغية، وتكمن أهميته في خدمة فهم القرآن وتدبره وتفسيره.

تعريف علم المعاني وموضوعه:

نشأة علم المعاني:

لقد نشأ هذا العلم غصّاً يانعاً، موصول الأسباب بإعجاز القرآن الكريم، إذ تقرَّر عند فريق من العلماء أنَّ القرآن مُعْجَزٌ بنظمه، فمضوا يبحثون عن سرِّ هذا النظم المعجز، إلى أن قيَّض الله لهذا الأمر عالماً نحوياً كبيراً، استطاع بذوقه الأدبي الرفيع وثقافته النحوية العريضة أن يدمج بين النحو والبيان، ويخرج بنظرية النظم لمباحث علم المعاني، وهو عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، وذلك في سفره العظيم: "دلائل الإعجاز"، بيد أنَّه لم يكن يُسمِّيها بعلم المعاني، إمَّا يُطلق عليها أحياناً علم البيان أو النظم، وأحياناً البلاغة أو الفصاحة.

وإذا كان الجرجاني أوَّل من درس علم المعاني تَدْوُقاً وتعمُّقاً ونُضْجاً ولم يسمِّه باسمه، فقد جاء الزمخشريّ وطبَّق نظرية الجرجاني في علم المعاني على القرآن الكريم في تفسيره "الكشاف"، وسمَّى هذا العمل باسمه علم المعاني، ويقول في معرض ذكره لشروط المفسر لكتاب الله تعالى: "لا يتصدَّى لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجلٌ قديرٌ في علمين مختصَّين بالقرآن وهما علم المعاني، وعلم البيان".

وقد قام السكاكي بتثبيت هذا المصطلح "علم المعاني" نظرياً في كتابه "مفتاح العلوم"، وذلك في القسم الثالث منه، فجعله للمعاني والبيان، وأوضح لعلم المعاني قواعد وحدوداً، وميَّز له أصولاً وفروعاً،

وفَصَّل بين علم المعاني وعلم النحو. وكان هذا الكتاب محورًا للدراسات البلاغية فيما بعد، حيث توالى شروحه، وشروح الشروح، والهوامش والتعليقات والإضافات عليه. وأصبحت كتب البلاغة تدور حوله، حتى قال القائل: "لولا الأعرجان لضاعت بلاغة القرآن": يقصدون الزمخشري والسكاكي؛ لأتھما أعرجان حقيقة.

- فأوّل من تذوق علم المعاني ومفهومه وشق طريقه وأنضجه وبَيَّنَّه وأسسَه: الجرجاني.

- وأوّل من سمَّاه وطبقه في تفسيره: الزمخشري.

- وأوّل من جعله فنًّا متكاملًا، وعَرَّفَه كمصطلح وحد حدوده نظريًا: السكاكي⁸⁵.

ومنهج العلماء في عرض مسائل علم المعاني ينقسم لمدرستين:

- **المدرسة الأدبية الذوقية:** وهي مدرسة عبدالقاهر الجرجاني ومن نهج نهجه، فعقدوا للتقديم والتأخير بابًا، وبابًا للذكر والحذف، وبابًا للتعريف والتنكير، وكانوا يُكثرون من ذكر الأمثلة والنصوص ويتذوّقونها.

- **المدرسة التقريرية التقعيدية:** ورؤاؤها البلاغيون المتأخرون من أصحاب التعاريف والقوالب، وأصحاب هذه المدرسة يعرضون مسائل علم المعاني في ثمانية أبواب: الإسناد الخبري والمسند إليه، ويحوي مسائل التعريف والتنكير، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والمسند، والإنشاء، ومتعلقات الفعل؛ ويقصدون به تقديم المفعول والظرف، والقصر، والوصل والفصل، والمساواة والإطناب والإيجاز.

علاقة علم المعاني بعلم النحو:

⁸⁵ من أراد الإلمام ببلاغة المتقدِّمين فعليه بكتايبِ الجرجاني (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة)، ومن أراد أن يُلِمَّ ببلاغة المتأخرين فعليه بكتايبِ (المطوّل، والمختصر للتفتازاني والشروح التي وُضعت عليهما) ويحسن البدء بكتب المتأخرين، ثم العكوف على كتب المتقدِّمين.

هذا العلم قائمٌ على علم النحو، ويمثل مرحلةً متقدمةً عنه، فعلم المعاني لا يستقيم إلا بمراعاة الأحكام النحوية، فهما يمثلان مستويين من مستويات النظام اللغوي، وهناك قدرٌ مشترك بين العلمين، ومعالم التلاقي بين العلمين كثيرة، فبعلم النحو يتحقق فهم البنية التركيبية، وبعلم المعاني تتحدد أهداف التعبير والتواصل، فلا يمكن فهم وتطبيق علم المعاني بدون النحو، فهو الجذر والساق، وعلم المعاني الثمار والأوراق.

أهمية علم المعاني في الوقوف على إعجاز القرآن الكريم:

ذكر عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز أهمية هذا العلم بقوله: "ثم إنَّك لا ترى علمًا هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعًا، وأحلى جنًى، وأعذب وردًا، وأكرم نتاجًا، وأنور سراجًا من علم البيان - يقصد علم المعاني - الذي لولاه لم تر لسانًا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو الينع من الثمر... إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء.

فأهميته تنبع من الوقوف على أسرار البلاغة في منشور الكلام ومنظومه، فنحتذي حذوها ونسج على منوالهما، ونعرف السر في افتخار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (أوتيت جوامع الكلم). وكذلك معرفة وجه إعجاز القرآن من وجهة ما خصه الله به من حُسن التأليف، وبراعة التركيب، وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلاسة، فننتفع ببلاغته، وندرك السر في فصاحته، وكيف كان معجزةً خالدةً على وجه الدهر.

وتظهر أهمية علم المعاني ضمن فنون علم البلاغة، بأنَّه شرط من شروط من يتصدَّى لكتاب الله مفسرًا، لذا قال الزركشي: "وهذا العلم (المعاني) أعظم أركان المفسِّر، فإنَّه لا بدَّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والجزالة وتأليف النظم، وأن يُواخي بين الموارد، ويعتمد على ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر، وغير ذلك" ونصَّ على ذلك السيوطي في الإِتقان.

فمعرفة هذا العلم بدقائقه وفروعه هو عمدة التفسير، وهو واسطة عقد البلاغة، وقاعدة الفصاحة.

ونستطيع أن نُجمل أهمية علم المعاني في نواحٍ ثلاث:

- الأولى: الوقوف على إعجاز القرآن الكريم، من حيث ما خصه الله به من جودة النظم، وبراعة التراكيب، وحسن الوصف، وجزالة الكلمات.

- الثانية: القدرة على التفريق بين جيد الكلام وردئه، وبين البيان العالي والكلام العادي.

- الثالثة: القدرة على تأدية المعنى بوجه سليم دقيق بعيداً عن الخطأ والزلل، فبهذا العلم يُعرف السبب الذي يدعو إلى التنكير والتعريف، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإطناب والإيجاز والمساواة، والقصر، والفصل والوصل، فيأتي الكلام مطابقاً لمقتضى الحال.

أمثلة على تطبيقات علم المعاني في كتاب الله سبحانه:

1- أنواع الخبر:

بحث البلاغيون أضرب الخبر من حيث التوكيد وخلافه، فإذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر استغنى عن مؤكدات الحكم، يقول الخطيب القزويني: "وينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة، فإن كان خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى عن المؤكدات، وإن كان متردداً فيه طالباً حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وجب تأكيده بحسب الإنكار... ويسمى الضرب الأول ابتدائياً، والثاني طليئاً، والثالث إنكارياً".

جاء عن المبرّد: قولك: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإنّ عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه، وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه. فهنا المتكلم المخبر كالطبيب الذي يعطي المريض الدواء المناسب بالكمية المناسبة.

فبعد أن تعرفت على أضرب الخبر فما سرُّ تبائن الآيتين في قوله تعالى:

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ١٤ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ١٥ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس:

[16-14]

لماذا جاءت الآية الأولى بدون لام التوكيد في قوله (مُرْسَلُونَ) ولماذا جاءت الآية الثانية مع لام التوكيد في قوله (لَمُرْسَلُونَ) .

يقول أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: "وجاء أولاً (مُرْسَلُونَ) بغير لام؛ لأنه ابتداء إخبار، فلا يحتاج إلى توكيد بعد المحاورة. (لَمُرْسَلُونَ) بلام التوكيد؛ لأنه جواب عن إنكار، وهؤلاء أمة أنكرت النبوات بقولها: ﴿وَمَا أُنْزِلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يس: 15].

ففي الآية الأولى ابتداء إخبار فلا يحتاج لمؤكد، وفي الآية الثانية جواب عن إنكار وذلك لأنهم كذبوهم لذا أكدت بثلاثة مؤكدات على حسب حالة تكذيبهم، وهي تقديم (إِلَيْكُمْ) على (لَمُرْسَلُونَ)، وباسمية الجملة، وبدخول لام التوكيد على الخبر (مُرْسَلُونَ).

2_ الوصل والفصل:

وفي الوصل والفصل في كتاب الله، يُنبّه الزمخشري إلى ظاهرة أسلوبية دقيقة في نظم القرآن، فُيُنَبِّه إلى الجملة التي تأتي في نسقٍ مفصولة عما قبلها من جمل، وتأتي في نسقٍ آخر وقد وُصلت بما قبلها، وذلك لأنّ المعنى قد لا يتّسق إلا بالوصل، أو لا يتّسق إلا بالفصل، فما الفصل والوصل إلا وسيلة فنية لتحقيق أهداف المعنى المقصود.

ففي سورة الحج ترد جملة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: 34] موصولة بالواو في بدايتها، ثم تمضي ثلاث وثلاثون آية وتأتي نفس الجملة وهي مفصولة بدون واو في بدايتها، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: 67].

يتساءل الزمخشري: "لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه؟ ثم يجيب: "لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها، وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً".

3_ التعريف والتكثير:

وفي التعريف والتنكير وارتباطهما بالأسرار البلاغية في المقام والسياق الذي تردان فيهما، حيث يرتبط ذكر المعرفة والنكرة في السياق بحسب ما يقتضيه المقام من إفادة المخاطب.

ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: 131]، ذكر (إذا) مع (الحسنة) وتعريفها، وذكر (إن) مع (سَيِّئَةٌ) وتنكيرها: إشارة إلى أنَّ الحسنة مقصودةٌ بالذات وكثيرة الوقوع، والسَيِّئَةُ مقصودةٌ بالتبع وقليلة الوقوع. فهنا أتى بالحسنة معرفةً للدلالة على القصد والكثرة، ونكَّر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها. فسياق الآيات يتحدث عن آل فرعون، فعندما أراد المولى تعداد نِعَمه عليهم، وصفها بالحسنة معرفةً لتدل على كثرة نعم الله عليهم، وعندما بيَّن الله ما ابتلاهم به عبَّر بالسيئة منكرةً للدلالة على القلة في مقابل الكثرة في جنب النعم.

4_ التقديم والتأخير:

أما التقديم والتأخير في كتاب الله فهو أسلوب في مقصود، فيتعرض ترتيب الجملة العربية لتغير في يتجاوز الدلالة السطحية إلى دلالة أعمق منها بالتقديم والتأخير.

كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]: ففي التقديم والتأخير في الآية أكثر من غرض بلاغي، قدم العبادة على الاستعانة؛ لأنَّ تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة، ولا شبهة في أنَّ العبادة وسيلة إلى طلب المعونة الضرورية، وقُدِّم المفعول (إِيَّاكَ) على فعله للتعظيم والدلالة على الحصر والتنبيه، وكذلك رعاية توافق رؤوس الآي وجه آخر للتقديم، ويمكن أن تجتمع كل هذه الأغراض البلاغية للتقديم في الآية؛ لأنَّ الأغراض البلاغية تتداخل ولا تتعارض.

وكذلك في هذه الآية التفات من الغيبة للخطاب حيث يقول البيضاوي في ذلك: "ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة، ليكون أدل على الاختصاص، وللتلقي من البرهان إلى العيان

والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهدًا والغيبة حضورًا، بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائه على عظيم شأنه وباهر سلطانه، ثم قفَى بما هو مُنتهى أمره، وهو أن يخوض في لجة الوصول، ويصير من أهل المشاهدة، فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً... ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع، فيعدل من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس".

5_ الذكر والحذف:

ويعدّ الذكر والحذف من الأساليب البلاغية المهمة في كتاب الله، فهو يعبر عن إيصال الفائدة من الكلام بأبلغ وجه، فأحياناً الذكر يعبر عن المقصود من الكلام بأوضح صورة، وفي أخرى يكون الحذف أبلغ من الذكر، وهو المعنى بالتعبير الفصيح وإيصال المقصود.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: 93]: مفعول (ترى) محذوف دل عليه الظرف المضاف، والتقدير: ولو ترى الظالمين إذ هم في غمرات الموت، والمقصود من هذا الشرط تهويل هذا الحال، ولذلك حذف جواب (لو) كما هو الشأن في مقام التهويل والتعجيب، حتى تذهب النفس فيها كل مذهب من التهويل والتعجيب.

6_ الإيجاز والإطناب:

والإيجاز والإطناب والمساواة من الأساليب المهمة في البلاغة، وهو شرط من شروطها، فهو يدور حول مناسبة الكلام لمقتضى حال المخاطب، وكل معنى يطوف في خاطر الإنسان وعقله يعبر عنه بإحدى هذه الطرق الثلاثة، ولكن على حسب حال المخاطب تنتقل بين الأساليب الثلاثة.

ورحم الله العلوي صاحب الطراز إذ شبه هذه الأساليب بالثوب للجسد، حيث قال: "اعلم أنّ الكلام بالإضافة إلى معناه كالقميص بالإضافة إلى قَدِّ مَنْ هو له، فربما كان على قَدْرِ قَدِّهِ من غير زيادة ولا

نقصان، وهذا هو المساواة، وتارة يكون زائداً على قَدِّه وهذا هو الإطناب، وربما نقص عن قَدِّه، وهذا هو الإيجاز، فالكلام لا يخلو عن هذه الأنواع الثلاثة".

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، وهي من الشواهد التي اهتزت لها رؤوس علماء البلاغة والبيان بالاستشهاد بها في باب الإيجاز، كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده، وهذه الآية بلغت وجازة لفظها وكثرة معناها مع دقته واشتماله على الاعتبار الغريبة إلى أرفع درجات الفصاحة والبلاغة.

وتنافس البلاغيون في إيجاد الفروق البلاغية بين بلاغة وإيجاز هذه الآية القرآنية، وبين قول العرب: القتل أنفى للقتل، فذكر القزويني ثمانية فروق بين العبارتين، فيما أوصلها الزركشي إلى عشرين فرقاً من وجوه عدة.

فعلى وجازة التعبير القرآني في الآية، إلا أنها حملت معاني عظيمة في الحفاظ على الأنفس والأرواح وأمن المجتمعات.

7_ تلوين الخطاب:

أما تلوين الخطاب فهذا الفن لا يخرج عن كونه تنويعاً وتغييراً في أساليب الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، أو الانتقال من صيغة صرفية إلى أخرى، أو تصرف بالعبارة، بحيث لا يستمر الكلام على طريقة واحدة.

فعند استقصاء الأساليب التي تلفت الانتباه بالتفنن في القول والتغير من حال إلى حال، أو الخروج عن مقتضى الظاهر، نستطيع أن نعرف حدّ هذا الأسلوب البديع من أساليب البلاغة، فهو يجمع بين طياته أساليب متنوعة عند اجتماعها وتلاحمها مكونة ما يسمى بـ "تلوين الخطاب".

ومنه التعبير عن المستقبل بالماضي: للتنبيه على تحقق وقوعه، وأنّ ما هو للوقوع كالواقع، وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد، كان أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛

لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد وجد وكان، ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 21]، أي: يبرزون لله يوم القيامة جميعاً، وإنما جيء بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه، نحو: "ونادى أصحاب الجنة".

وكالتعبير عن الماضي بلفظ المضارع أو المستقبل: فائدة هذا الأسلوب أن المستقبل إذا أُخبر به عن الماضي، تبيّنت من خلال هذا الأسلوب هيئة الفعل، وذلك باستحضار صورته، فيكون السامع كأنه شاهد يشهد الحدث الآن، وليس كذلك الفعل الماضي، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية، كحال تُستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، قال ابن عاشور: "حكايتها كأنها مشاهدة؛ لأنّ المضارع دال على زمن الحال، فاستعماله هنا استعارة تبعية، شبه الماضي بالحال لشهرته ولتكرر الحديث عنه بينهم، فإنهم لحبهم إبراهيم وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة، فشبه الماضي لذلك بالحال... مما يوجب امتلاء أذهان السامعين بإبراهيم وشؤونه حتى كأنه حاضر بينهم، وكأن أحواله حاضرة مشاهدة".

ضرورة علم المعاني للتفسير:

من أراد تذوق علم المعاني في كتاب الله بإحساس مرهف فعليه من التفاسير بثلاثة:

- **الكشاف** وهو العمدة، ومعه حاشية الطيبي على الكشاف لأنه شرح المغلقات من مسائل الكشاف.

- **تفسير المحرر الوجيز** لابن عطية حيث كان ابن تيمية يُقدِّمه على الكشاف؛ ففيه أهم ما في الكشاف مع ترك مواطن الاعتزال.

- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وهو التفسير الذي لا غنى لأي بلاغي عنه.

ولأن هؤلاء المفسرين عندما وقفوا مع القرآن لم يقفوا معه كوقوفهم مع كلام الناس، بل وقفوا معه على أنه كلام رب الناس، فلا أقول: كل كلمة لها إعجازها؛ فكل حرف له، بل كل حركة فيه، وكل تقديم وتأخير، وكل تعريف وتنكير، وكل ذكر وحذف، وكل وصل وفصل مقصود لغاية وهدف، ولو انتزعنا كلمة من سياقها القرآني ثم أُدبرت على ألسنة البلاغيين لم يجدوا لها بديلاً يؤدي معناها المقصود، وما استخرجه المفسرون من بلاغة الكتاب العزيز هو غيض من فيض، وقطرة من بحر الكتاب المعجز.

روى الخطابي عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله: "الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ" [الماعون:

هـ]، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر. قال الحسن: مه يا أبا العالية. ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: «عن صلاتهم»!.

فلما لم يتدبر أبو العالية حرف «في» و «عن» تنبه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم»، فلما قال: «عن صلاتهم» دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت.

وعليه فإن علوم البلاغة -وواسطة العقد فيها علم المعاني- من أجل العلوم قدراً، وأتمها منزلة، وأكملها علواً، وأدقها أثراً، وبها يتبين وجه من وجوه الإعجاز في نظم القرآن العظيم، وعلامات شرف العبارة في كلام الله الكريم، ودلائل الهداية في معاني الآي الحكيم، والعجب ممن يتصدى لتفسير كتاب الله وهو خلو من علوم العربية وخصوصاً علم المعاني وباقي علوم البلاغة.

المحاضرة الخامسة عشر: علم إعراب القرآن

إنَّ اللسان العربي هو الطريق إلى فهم مفردات القرآن العزيز وتركيباته، وعليه المعوّل في معرفة معانيه وتدبُّر آياته، وبحسب قوّة الناظر فيه تُلتقط درر المعاني من فيه، وسنتعرف في هذه المحاضرة على علم إعراب القرآن، ومؤلفات إعراب القرآن، وذلك على النحو الآتي:

1_ مفهوم إعراب القرآن:

(إعراب القرآن) مركب إضافي، يتكون من جزأين؛ (إعراب) و(القرآن)، فسوف نعرِّفه باعتبار أفرادهِ، ثم نعرفه باعتباره أصبح علماً ولقباً على فنٍّ مخصوص.

الإعراب في اللغة والاصطلاح:

الإعراب لغة: الإبانة، تقول أعرب الرجل عما في نفسه؛ أي: أبان، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الَّتَيْبُ تُعَرِّبُ عَنْ نَفْسِهَا، وَالْبَكْرُ رِضَاهَا صَمْتُهَا)).

فإعراب الكلام: بيانه وإيضاح فصاحته.

الإعراب اصطلاحاً: له عدة تعريفات:

- الأول: تغيير أواخر الكلم؛ لاختلاف العوامل الداخلة عليه، لفظاً أو تقديرًا.
 - الثاني: أثر ظاهر أو مقدّر يَجْلِيهِ العامل في آخر الكلمة.
 - الثالث: التطبيق العام على القواعد النحويّة المختلفة.
- إعراب القرآن (باعتباره علماً ولقباً على هذا العلم): علم يبحث في تخريج تراكيبه على القواعد النحويّة المحرّرة.

2_ ذكر بعض الآثار الواردة في إعراب القرآن:

- 1 - عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: (لأن أُعَرِّبَ آية من القرآن أحبُّ إليَّ من أن أحفظ آية).

- 2 - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرٌ حَسَنَاتٍ، وَكُفَّارَةٌ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفْعٌ عَشْرُ دَرَجَاتٍ)).
- 3 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّمَسُوا غَرَائِبَهُ)).

3_ نشأة إعراب القرآن وتطوره وأطواره:

(إعراب القرآن) ظهر مبكرًا؛ لأن اللحن في القرآن أو الإخلال في أدائه تحريف لكلام الله عن مواضعه، وإخلال بكثير من أحكامه التشريعية، فضبط القرآن أدّى إلى وضع علم العربية وضبطه، وستتبع فنّ (إعراب القرآن) من خلال أطواره الآتية:

- الطَّوْرُ الْأَوَّلُ: اللحن وإعراب القرآن:

اللَّحْنُ هو إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يقال: لَحَنَ لَحْنًا، وَاللَّحْنُ وَاللَّحَّانَةُ: الرجل الكثير اللَّحْنِ. وقال الرَّاعِبُ: "اللَّحْنُ: صرف الكلام عن سَنَنِه الجاري عليه: إما بإزالة الإعراب، أو التصحيف - وهو المذموم - وذلك أكثر استعمالًا. وإما بإزالته عن التصريح، وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى".

وقد مضى الصَّدْرُ الْأَوَّلُ من الصحابة رضي الله عنهم واللَّحْنُ لا يلامسُ عَرَبِيَّتَهُمْ، ولا يُقَارِبُ سَاحَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَبَدَأَ اللَّحْنُ يَظْهَرُ عِنْدَمَا اخْتَلَطَتِ الْأَلْسَنَةُ؛ لخروج العربية من مَهْدِهَا الْأَصِيلِ مع كُتَائِبِ الْفَاتِحِينَ، وظهور جيل المولّدين العرب. فأخذ الصحابة رضي الله عنهم يَحْتُثُّونَ النَّاسَ عَلَى تَعَلُّمِ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَبَاتَتْ مَقُولَةٌ: (إِنَّ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ؛ فَاسْتَقْرِئُوهُ رَجُلًا عَرَبِيًّا) تَقْرَعُ أَسْمَاعَ طُلَّابِ الْقُرْآنِ.

- الطَّوْرُ الثَّانِي: نَقْطُ الْإِعْرَابِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

النقط في اللغة: نقول: نَقَطَ الحرفَ يَنْقُطُهُ نقطًا: أعجمه، والاسم النُّقْطَةُ، ونَقَطَ المصاحف تنقيطًا؛ فهو نَقَاط. والنَّقْطُ عند العلماء نوعان:

الأول: نَقَطُ الإعراب: هو نَقَطُ الحركات؛ أي: ما يدلُّ على ما يعرضُ للحرف من حركة أو سكون.
الثاني: نَقَطُ الإعجام: هو ما يدلُّ على ذواتِ الحرف، ويُميِّزُ بين المهمل والمعجم.

- الطَّوْرُ الثالثُ: النَّحوُ وإعراب القرآن الكريم:

مثَّلَ (نقط الإعراب) استشعارًا حقيقيًّا للقواعد النَّحْوِيَّة التي لحِظها العربيُّ الفصيح في سَلِيَقَتِهَا، فالاهتمام بأواخر الكَلِم: رفعًا ونصبًا وجرًّا وجزمًا؛ لأهميتها في تبيان المعاني والمقاصد، وأنَّ هذه الحركات لها أسباب تُوجِبُ تغيُّرها؛ فكشف تلك الأسباب عرف فيما بعد بـ(العَلَّة النَّحْوِيَّة).
وإذا أخذنا بـ(إعراب القرآن) على أنه تطبيق للقواعد النَّحْوِيَّة، فبدايته مع بداية نشأة النحو وتأسيس قواعده؛ إذ كان القرآن هو الدليل الأول من أدلته. قال البجاوي: "وهذا الفنُّ الإعرابي ينمو شيئًا فشيئًا، حتى صار غرضًا قائمًا بذاته."

وخلاصة القول: كما نشأ علم متميِّز عن النَّحو هو علم الصرف، كذلك نشأ (علم إعراب القرآن)، وفي الجملة أخذ علم النحو يستقلُّ، وكان استقلاله في ظل القرآن؛ لأنَّ أوَّل ما تناوله النحويون في هذا المضمار أنهم بنوا استشهادهم في أكثره على القرآن، ثم أخذ (إعراب القرآن الكريم) يخلُص وحده، ويكون علمًا مستقلًّا قائمًا بنفسه.

- الطَّوْرُ الرابعُ: معاني القرآن وإعرابه:

كُتِبَ معاني القرآن هي التي وضعت في البيان اللُّغوي لألفاظ وأساليب العربية الواردة في القرآن. وقيل في: ((معاني القرآن: كان هذا التركيب يُعنى به ما يُشكِّل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناية في فهمه)).
وهذه بعض الكتب المصنفة في (معاني القرآن)؛ وهي:

1 - معاني القرآن؛ للفرَّاء (ت 207هـ).

2 - معاني القرآن؛ للأخفش (215هـ).

3 - معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (ت 311هـ).

وهي تعنى بتخريج مشكل الخطاب القرآني على الأسلوب العربي، أو تحليل تركيب جملة لبيان المعنى. فيتين من هذه الكتب أن المعاني عندهم: المنحى اللغوي والتفسير، وذلك ببيان غريب الألفاظ، أو تخريج مشكل الخطاب القرآني على الأسلوب العربي.

4_ أهمية إعراب القرآن:

من القواعد الأساسية التي ارتكزت عليها العلوم اللغوية في نشأتها "دَرْءُ اللَّحْنِ؛ قَصْدُ الحِفاظِ على لغة القرآن"، ثم صارت تلك العلوم مطلبًا عظيمًا لطالب العلم. فأهمية (إعراب القرآن) فرع مما تقدم، وليبيان هذا الأمر وبَسْطُهُ نتكلم عن أمرين متلازمين؛ هما: فضل إعراب القرآن. وفوائد إعراب القرآن.

- **فضل إعراب القرآن:** مما هو مشهور من الأقوال (شرف العلم بشرف المعلوم)؛ فكان لهذا العلم

فضل كبير؛ لتعلقه بأشرف الأشياء هو القرآن الكريم.

وهذه بعض الآثار التي تبين فضل تعلم إعراب القرآن:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اقرؤوا، ولا تَلْحَنُوا".

وعن أبي ذرٍّ يقول: "تعلّموا العربية في القرآن كما تعلّمون حفظه".

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "أعربوا القرآن".

وقال أبو بكر الأنباري: "وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم

من تفضيل إعراب القرآن، والخصّ على تعليمه، وذمّ اللحن وكرهيته ما وجب على قُرّاء القرآن أن

يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلّمه".

وعن المزنيّ قال: "سمعت الشافعيّ يقول: إعرابُ القرآن أحبُّ إليّ من حفظ بعض حروفه".

- **فوائد فنّ إعراب القرآن:**

ولهذا العلم ثمرات كثيرة، فهو متصل بفنون كثيرة من علوم القرآن، وينتشر في مصنفاتها، وتُجمل أهم الفوائد التي يعود بها علم إعراب القرآن:

الأولى: يُقرأ به كتاب الله كما أنزل، ويُدفع اللحن عن ألفاظه.

الثانية: علم إعراب القرآن من مُستمدات (علم الوقف والابتداء). قال أبو بكر بن الأنباري: "لا يتم الوقف على المضاف دون ما أُضيف إليه، ولا على المنعوت دون النعت، ولا على الرفع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرفع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا على المنصوب دون الناصب، ولا على المؤكّد دون التوكيد، ولا على المنسوق دون ما نسقه عليه، ولا على "إن وأخواتها" دون اسمها، ولا على اسمها دون خبرها، ولا على "كان وليس وأصبح ولم يزل" وأخواتهن دون اسمها، ولا على اسمها دون خبرها، ولا على "ظننت وأخواتها" دون الاسم، ولا على الاسم دون الخبر".

5_ علم إعراب القرآن فنّ مستقلّ:

يعدّ علم إعراب القرآن - على الصحيح - علماً مستقلاً، فقد أصّل ابن هشام الأنصاري في كتابه "مغني اللبيب" لكثير من ضوابط الإعراب وما ينبغي على المعرّب مراعاته، وجاء من بعده فاستفاد مما ذكره ابن هشام، فلا مانع من جعل هذا العلم علماً مستقلاً، وقد قال المعتنون بتصنيف العلوم: "لا مانع عقلاً من أن تُعد كل مسألة علماً برأسه، ويُفرد بالتعليم، ولا من أن تُعدّ مسائل كثيرة غير متشاركة في موضوع واحد علماً واحداً، ويُفرد بالتدوين".

6_ حكم تعلّم هذا الفنّ:

حكمه: ينبغي أن يُعلم أن بيان حكمه سيكون في صورتين؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوّره:

الأولى: إعراب القرآن العمليّ: هو النطق الصحيح للقرآن الكريم، من غير لحن، وهذا واجب على كل من قرأ شيئاً من القرآن؛ "فإتقان كتاب الله وقراءته كما أنزل من عظيم الطاعات وأعلاها، وأجلّ القربات وأسناها" [17]، قال الله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28].

إعرابُ القرآن العلمي: فرضٌ كفاية، ويختص أكثر بمن يتعاطى العلوم المستنبطة من القرآن الكريم؛ كال تفسير، وتوجيه القراءات، واستخراج الأحكام الشرعية.

7_ حقله المعرفي ونسبته:

عَدَّ بعضُ العلماءِ هذا العلمَ من (علم التفسير)؛ أي: من فروعِهِ. وعارضَ هذا الرأي آخرون، وقالوا: هو في الحقيقة من فروع (علم النحو). والخاصة: أن (علم التفسير) و(علم إعراب القرآن) يُصنَّفانِ في ضمنِ علوم القرآن؛ فالإعرابُ وسيلةٌ من وسائل فَهْم القرآن، وطريقٌ إلى تحليلِ تراكيبه؛ لإصابة المعنى الصحيح، وعدم الزيغ في تفسيره؛ ولهذا وغيره استعان به المفسرون لتوضيح مقاصد الكتاب العزيز. فعلمُ التفسير موضوعُه القرآنُ الكريم من ناحية تفسيره، وعلمُ إعرابِ القرآن موضوعه القرآن من جهة إعرابه؛ فهما يرتبطان بالقرآن الكريم من حيث الموضوع. وإذا نظرنا إلى (علم إعراب القرآن) باعتبار وضعه وقواعده، فهو من (علم النحو).

8_ مصادر إعراب القرآن:

سنذكر أهمَّ الكتب والمصادر الخاصة بإعراب القرآن كما يلي:

- 1 - معاني القرآن وإعرابه؛ لأبي إسحاق الزَّجَّاج.
- 2 - إعراب القرآن؛ لأبي جعفر النَّحَّاس.
- 3 - إعراب القرآن؛ لأبي القاسم الأصبهاني.
- 4 - المجيد في إعراب القرآن المجيد؛ لأبي إسحاق برهان الدين السَّفَّاقِسي.
- 5 - التبيان في إعراب القرآن؛ لأبي البقاء العُكْبَرِي.
- 6 - مُشْكِلُ إعراب القرآن؛ لأبي محمد مَكِّي بن أبي طالب القَيْسِي.
- 7 - إعراب القرآن؛ لابن حَالَوَيْهِ.
- 8 - الفريد في إعراب القرآن المجيد؛ للأخفش الصغير.

- 9 - غريب إعراب القرآن؛ لابن فارس.
- 10 - المملّخص في إعراب القرآن؛ للخطيب التّبريزي.
- 11 - الجدول في إعراب القرآن الكريم؛ محمود بن عبد الرحيم صافي.
- 12 - إعراب القرآن الكريم وبيانه؛ أ.د محمد حسن عثمان.
- 13 - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه؛ الشيخ محمد علي طه درة.